الولايات المتحدة

أفقر دول العالم الثالث

محمد منصور

الولايات المتحدة

أفقر دول العالم الثالث

في هذا الكتاب، دعوة لاصطحبك في زيارة الى العالم الأمريكي العجيب، و نتجول معا داخل أروقة هذا المجتمع، ونتحسس بأيدينا الشقوق التي امتلأت بها جدرانه.. دعوة لأن تغير مفاهيمك وتعيد تعريف مصطلحاتك وترتيب أوراقك، تعال معي نر العالم بشكل صحيح ونرتدي منظارًا رائعًا شفافًا بعيدًا عن شوائب التزييف.. التي تراكمت على عيوننا عبر السنين.

محمد منصور

الناشر: دار ليلى
للنشر والتوزيع والاعلان

الثمن في مصر:
5 ج

ولدي نصحتك لما صوتي اتنبح
ماتخافش يوم من جني ولا من شبح
وان هب فيك عفريت قتيل اسأله
مادافعش ليه عن نفسه يوم ما اندبح
عجبي !!

صلاح جاهين

علمتنا الفلسفة أن النجاح في تحقيق أي فكر تصنعه قوتان أساسيتان متلازمتان، قوة الإنسان وقوة اللحظة، قوة الإنسان هي كل ما يمتلكه العنصر البشري من مهارات وكل ما يتميز به من قدرات، وقوة اللحظة هي الفرصة التي تفتح بابًا لمثل هذه المهارات والقدرات كي تترجم إلى حقائق وتدخل حيز التطبيق، وغياب أي من هاتين القوتين فيه خلل التجربة وإخفاقها .

حينما أعلنت القيادة السياسية في مصر عن مبادرتها بتعديل المادة 76 من الدستور الخاصة بانتخاب رئيس الجمهورية، وما استتبع ذلك من توصيات بتوسيع المشاركة السياسية بين أفراد الشعب -وخاصة الشباب- كانت قد أعطت الديمقراطية في مصر قوة اللحظة وهي الفرصة العظيمة لتحقيق إصلاح سياسي حقيقي، إلا أن التجربة الديمقراطية أخفقت إلى حد كبير في تحقيق النجاح المطلوب، بل إن نتائج أول انتخابات برلمانية تتم تحت إشراف قضائي كامل، أصابت الشارع السياسي المصري بنوع من الارتباك، وهنا ندرك سريعًا أن غياب قوة الإنسان قد أصاب التجربة بالخلل، فلم يكن لدى المواطن المصري القدرة

على استيعاب التجربة واستغلال الفرصة -أو بمعنى أدق قوة اللحظة- الاستغلال الصحيح، بل إن الفئة المستهدفة أساسًا -وهي الشباب- قد اكتفت بدور المتابع.

وهنا تكمن كلمة السر في مسألة قوة الإنسان وهي الشباب. فقد أصبحت هذه الفئة هي ساحة المعركة والمقتل الذي نتلقى فيه طعنات الإمبريالية الأمريكية والتي قد تصبح أيضًا جبهة قوية تسترد ما سلب من هويتنا وترمم ما تهدم من ثقافتنا وتراثنا. إن هذه الفئة العمرية - التي أنتمي إليها- لم تعد لديها القدرة على الاستماع لمزيد من الضجيج السياسي، ولم تنل من الحركة الإعلامية العربية سوى المزيد من التشويه عبر المنوعات الفنية التي لا ترتبط بالفن ولا الثقافة العربية من أي جهة بل أصبحت -كما جاء على لسان أحد قمم أهل الفن العرب- نوعًا خطرًا من المخدرات يجب مكافحته. ورغم تفوق بعض الفضائيات العربية ذات الطابع السياسي كالجزيرة والعربية إلا أنها لم تنجح في جذب هذه الفئة العمرية إلى الخطاب السياسي.

لذلك فإن تجديد الخطاب السياسي صار منهجًا يفرض نفسه بقوة على الساحة الإعلامية العربية، فقد تيبست اللغة السياسية وبهتت ألوانها في وقت يطارد فيه الشباب بكل ما هو براق. لذلك أحاول بهذا الكتاب أن أسلك منهجًا جديدًا يحاول الخوض في أمور سياسية بشكل مختلف، وبلغة جديدة تتخذ موقعًا وسطًا بين التيبس والتسيب.

وقد بدأت بالفعل بعض المحاولات التي تطرق عقول الأجيال

الجديدة، وتحاول المساهمة في تكوين فكر ناضج، ومنها إصدارات للنشء تعرض بشكل مبسط مصطلحات سياسية أساسية لتمهد له السبيل للسير في دروب السياسة الوعرة وتساهم في تشكيل الفكر النقدي الذي نحن في أمس الحاجة إليه الآن.

أحاول بهذا الكتاب أن أجد لي موضع قدم بين جنود الحركة الإعلامية الساعين للحفاظ على ما تبقى من هوية شبابنا وترميم جدار الثقافة العربية الذي أوشك على الانهيار، إنها حرب الأقلام الأكثر شراسة في هذا العصر المعلوماتي.

محمد منصور

القاهرة 20 أكتوبر 2007

مقدمة

"مادافعش ليه عن نفسه يوم ماندبح".. سؤال دار في عقولنا جميعا حين رأينا على شاشات القنوات الإخبارية الفزع في عيون المواطنين الأمريكيين بينما يتهاوى مبنى مركز التجارة العالمي، ووسط الغبار الكثيف الذي أظلم المكان تظهر لنا الكاميرا أحدى الأمريكيات تسأل في ذهول.. لماذا يكرهوننا؟ لماذا نحن؟ ليتحول سؤالها هذا إلى عنوان أعتلى عناوين الصحف والكتب التي بدأت في البحث عن جواب منطقي لهذا السؤال الطبيعي الذي كان أول رد فعل أمريكي لما يحدث.

وكما كان رد فعل الإدارة الأمريكية متسرعا وغير محسوب، كانت أقلام الكتاب السياسيين الأمريكيين، التي اتهمت العالم العربي والإسلامي بالتطرف والعنف، وألصقت تهمة الإرهاب بكل ما هو عربي أو مسلم، وبعد أن رفع الرئيس بوش شعاره المخيف "من ليس معنا فهو ضدنا" الذي اجبر شعوب العالم جميعا أن تختار بين أمرين وتحدد موقفها

سريعا، إما أن تتحالف مع الولايات المتحدة وجيشها في الحرب الكونية على الإرهاب، أو أن تدخل القائمة السوداء وان تعترف ضمنيا بمساندتها للإرهاب، وبالتالي لن تسلم من قذائف هذه الجيوش الأمريكية التي يقودها كاوبوي متهور.

وهكذا أصبحت العيون الأمريكية لا ترى سوى لونين فقط لا ثالث لهما، أبيض أو أسود، صديق أو عدو، وأعطت أحداث الحادي عشر من سبتمبر فرصة ذهبية لبوش، أجمع المحللون والخبراء السياسيون على إنها فرصة تاريخية لن تتكرر لفرض السيطرة الأمريكية على العالم، وحدد بوش وجهة الحرب إلى أفغانستان والعراق للقضاء على التهديد الإرهابي للأمن القومي الأمريكي.

لقد أعلن بوش أن عنوان حملته على الإرهاب هو "دمقرطة دول الشرق الأوسط" لأن في رأيه آن المناخ السياسي غير الصحي هو الذي أفرز المتطرفين الذين يهددون الأمن القومي الأمريكي، وأصبح على النظم السياسية في العالم الثالث والشرق الأوسط أن تقبل الديموقراطية المصدرة من أمريكا أو أن تعترف بتصدير الإرهاب.

وعند هذه النقطة توقفت، فكما أعطت أحداث الحادي عشر من سبتمبر بوش فرصة ذهبية لم يحصل عليها أي رئيس سابق لفرض الهيمنة الأمريكية على العالم، فقد أعطت شعوب العالم كلها الفرصة

لرؤية الوجه الأخر للولايات المتحدة، وتحليل الخطاب الأمريكي الجديد بدقة، وإدراك الطموح الإمبريالي الذي بات واضحا لكل ذي عقل.

وكانت الأسئلة التي تطرح نفسها، هل من حق الولايات المتحدة أن تصدر الديموقراطية لدول العالم الثالث؟ وما هي الديموقراطية؟ وما تعريف مصطلح العالم الثالث؟ وكيف يمكن الحكم على أي دولة إلى أي عالم تنتمي؟ وهل تستحق الولايات المتحدة الأمريكية موقع الصدارة وقيادة العالم؟ لو بحثنا في جواب هذه الأسئلة وحللناها بدقة وعدنا إلى التعريف الصحيح لكل كلمة لوجدنا أن الولايات المتحدة أفقر دول العالم الثالث، وأن من يستحق أن تصدر له الديموقراطية هو الشعب الأمريكي ذاته.

إذا بحثنا في البداية عن تعريف العالم الثالث لوجدنا معظم ما جاء بالقواميس أو دوائر المعارف يدور حول الدول الأقل حضارة التي تفتقر للديموقراطية وتعاني شعوبها من أثار ذلك من فقر ومرض والحال المتردي الذي تعانيه المرأة والطفل، وأما تعريف الديموقراطية فله معنى أساسي ثابت وهو حكم الشعب لنفسه وهو التعريف الأولي الذي مارسته الديموقراطيات اليونانية الأولى بشكل مباشر ثم تطور المعنى ليشمل حرية التعبير واحترام الخصوصية والممتلكات الخاصة واستقلال وسائل الإعلام، وما شابه ذلك مخ خصائص ارتبطت بتحقيق الحريات، وفي الصفحات التالية سنحاول أن نتجول معا داخل الحدود الأمريكية ونبحث

في العمق السياسي والاجتماعي، ونطبق معايير الحضارة، الجهل والفقر والمرض، برؤية جديدة تعطي كل مصطلح تعريفه الصحيح لنحدد العالم الذي تنتمي إليه الولايات المتحدة، ثم نختبر بدقة النسخة الديموقراطية الأمريكية داخل حدودها وبين سطور مقالات كتابها قبل أن نقبل بدورها التي تود أن تلعبه بتوجيه العالم لتحقيق الديموقراطية.

هناك فضيلة واحدة في هذا العالم هي المعرفة،

ورذيلة واحدة هي الجهل

أرسطو

الجهل..

العالم تحت قيادة أمة جاهلة

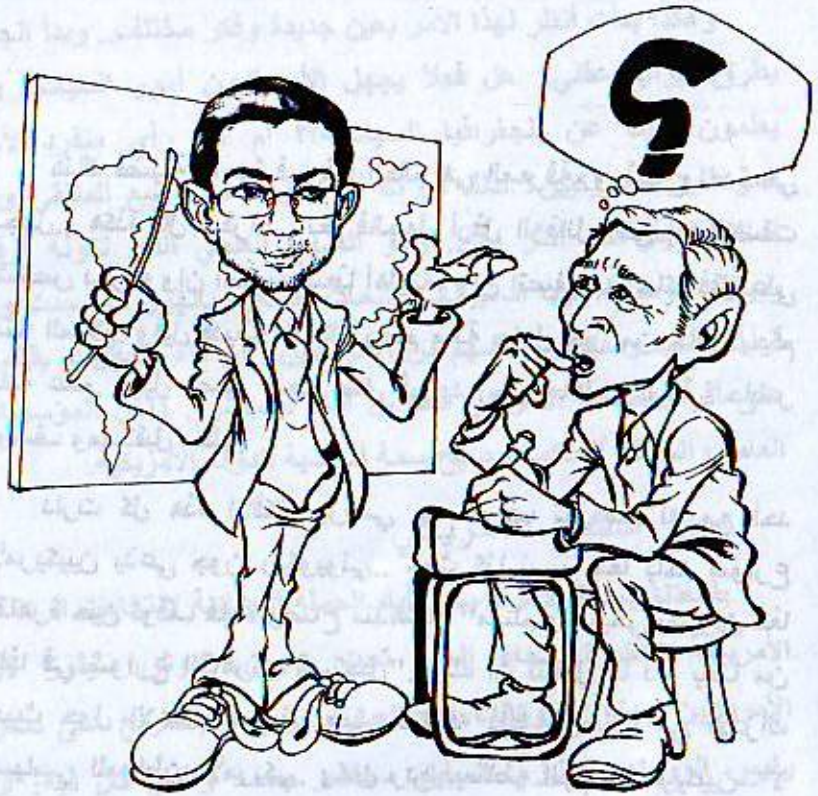

هناك فضيلة واحدة في هذا العالم هي المعرفة، ورذيلة واحدة هي الجهل.. هكذا قال سقراط.. نعم فالجهل أرذل الرذائل التي إن التصقت بشخص دمرته وإن أصابت شعبًا أهلكته، وإن اتصف بها حاكم فقل على أمته السلام. وقيل قديمًا: "عالم يحكم مائة جاهل خير من جاهل يحكم مائة عالم. تخيل مصير شعب صار في يد رجل جاهل.. كارثة.. حاضر مؤسف ومستقبل مظلم.

دارت كل هذه الأفكار برأسي بعد موقف تعرضت له مع أحد الأمريكيين يدعى جون ريكوبوني.. حيث كنا نسير معًا بأحد شوارع القاهرة حين توقف فجأة وصاح مندهشًا: "مسلم ومسيحي يسيران معًا هكذا في شوارع القاهرة.. مستحيل". ولك أن تتخيل ما دار بيننا من حديث حول الإعلام المزيف وما يستتبعه ذلك من خلل في الإدراك السياسي للمواطن الأمريكي. وكان رده ببساطه أنهم -الأمريكيين- لا يهتمون بأمور السياسة أو السياسيين.. اكتفيت بالصمت ولم أعلق.. بينما امتلأ رأسي بتساؤلات بديهية.. هل يجهل الشعب الأمريكي العالم الخارجي حقًا؟ وهل يمكن أن تلتصق صفة الجهل بشعب يعتلي قمة

الأرض.. وهو الذي يختار الحكومة التي تحدد قراراتها معالم الخريطة السياسية في العالم كله؟!!!

وهكذا بدأت أنظر لهذا الأمر بعين جديدة وفكر مختلف.. وبدأ الجدل يطرق أبواب عقلي.. هل فعلاً يجهل الأمريكيون أمور السياسة ولا يعلمون شيئًا عن الجغرافيا السياسية؟؟ أم هو رأي منفرد لأحد المواطنين الأمريكيين؟ لذلك قررت أن أتمرد على وضع المتلقي وأن أسلك طريقًا آخر أكثر دقة.. وهو المنهج العلمي الذي تكونه أرقام وبيانات توصلت إليها استبيانات وأبحاث دقيقة. ويالهول ما وجدت وما قرأت لكتاب ومفكرين بعضهم من الأمريكيين.. إن داء الجهل لم يقتصر على أفراد الشعب الأمريكي فقط بل امتد ليستشري داخل المؤسسات العامة والسلطة الحاكمة ليصبح سمة أساسية للدولة الأمريكية.

جهل الشعب الأمريكي

طالعتنا جريدة الأهرام بخبر أيام الحملة الدعائية لانتخابات الرئاسة الأمريكية الأخيرة.. جاء الخبر تحت عنوان "بوش سيفوز لأن الأمريكيين جهلة!!" وكانت هذه العبارة جزء من تصريح على لسان رئيس الوزراء الماليزي السابق محاضر محمد والذي قال فيه: إن الكذاب -ويقصد بوش- سوف يتمكن من تحقيق انتصاره الثاني لأن الشعب الأمريكي يجهل أمور السياسة ولا يعلم شيئًا عن العالم الخارجي ويعتقد أن أمريكا هي العالم!!

نفس النقطة التي أثارها رئيس الوزراء الماليزي أكدتها إحدى الكاتبات الأمريكيات تدعى ماري جو ميلون في مقال لها على شبكة المعلومات الدولية تحت عنوان "الجهل الأمريكي نقمة لا نعمة" والتي تروي لنا فيه عن موقف تعرضت له مع إحدى الأمريكيات المسلمات من أصل عربي والتي كانت ترتدي قلادة منقوشًا عليها صورة لقبة الصخرة الموجودة بالمسجد الأقصى، ولكن الكاتبة اعتقدت خطأ أنها صورة لأحد المعالم الأمريكية الشهيرة.. وتذكر الكاتبة أن الإحراج الذي شعرت به والخجل الذي أصابها يجب أن يشعر به كل الأمريكيون الذين -والكلام لماري ميلون- ينعزلون تمامًا عن العالم الخارجي ويكتفون بالاستمتاع بالحياة الهادئة.. وتلخص المسألة كلها في عبارة موجزة تقول فيها: ذا كانت الولايات المتحدة قد اعتلت قمة العالم فإن شعبها يكتفي بالحياة الهادئة "لأن من يعيش على ربوة عالية لا يشغل باله بما يدور بأسفل".

وأشارت ميلون في مقالها أيضًا إلى أن هذا الجهل بالآخر قد أصاب المجتمع الأمريكي بحالة من الارتباك والتخبط خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر.. وجعل الشك يتسرب إليهم تجاه كل ما هو عربي.. وهو شك غير منهجي ولا منطقي يعتمد على روايات وقصص متناثرة من هنا وهناك دون الإلمام بأي شكل من الأشكال بإطار الحضارة العربية أو أسلوب التفكير السائد في تلك البلاد.

وفي معالجة ساخرة لهذا الجهل روى الكاتب يوسف معاطي في كتابه "تحب تكره أمريكا" أن الجنود الأمريكيين قبل أن تذهب جيوشهم

للعراق حاضرهم قائدهم قائلاً: "أيها الجنود.. اعلموا أنكم ذاهبون لبلد ذي حضارة عريقة.. لذا حاربوا الجيوش والشعوب ولكن لا تحاربوا الحضارة.." ولكن بعد الغزو والاحتلال تساءل أحد الجنود متعجبًا " لقد قلتم لنا إنا ذاهبون لبلد ذي حضارة، فأين هي تلك الحضارة؟.. لقد مشينا من الموصل إلى بغداد ولم نجد في طريقنا ماكدونالدز واحد.. وتقولون حضارة عريقة ؟؟!!!" إن هذه القصة وإن كانت طريفة تعد نوعًا من الكوميديا السوداء التي تعكس ما خلفه الجهل والخلل في الإدراك الصحيح للمعايير في المجتمع الأمريكي من اتساع للفجوة بينه وبين الآخر.

الأمريكيون لا يعلمون أين العراق

ما سبق كان آراء ووجهات نظر لبعض الكتاب والمفكرين في موضوع جهل الشعب الأمريكي بأمور السياسة والأحداث العامة، ولكن ماذا عن الأبحاث والاستبيانات والأرقام، فلغة الأرقام لا تخطئ ولا تجامل ولا تشوبها الأهواء. إنها مرآة صادقة تعكس صورة جلية للموضوع محل الاختبار، خاصة وإن قامت بها مؤسسات أمريكية في محاولة منها لنقد الذات.

قبل أن تتحرك الجيوش الأمريكية إلى العراق، نشرت شبكة CNN الإخبارية الأمريكية في موقعها على شبكة المعلومات الدولية خبرًا عجيبًا تحت عنوان "الشباب الأمريكي لا يعرف أين العراق!!" وعرضت الشبكة تفصيلاً لبحث أجرته كبرى المؤسسات الجغرافية في العالم

وأوضحت نتائجه أن واحدًا من كل سبعة أمريكيين -حوالي 13%- في الفئة العمرية ما بين الـ18 والـ24 عامًا -وهو متوسط عمر الفرد أثناء تأدية الخدمة العسكرية- يستطيع تحديد موقع العراق على الخريطة!!

وذكرت شبكة CNN أن هذا البحث هو بحث دولي تم إجراؤه على عينات لا تقل عن 300 شاب ما بين ذكور وإناث بين عمري 18 و24 عامًا من تسع دول، هي الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، وكندا، وفرنسا، وألمانيا، وإيطاليا، واليابان، والمكسيك، والسويد، عن طريق إجراء مقابلات شخصية مع هؤلاء الشباب يتم فيها عرض 56 سؤالاً في مجال الجغرافيا والمعلومات العامة حول الأحداث الجارية في العالم. وجاءت الولايات المتحدة في المستوى (د) في المركز قبل الأخير بمتوسط 23 إجابة صحيحة ثم تلتها دولة المكسيك في المركز الأخير بمتوسط 21 إجابة صحيحة بينما لم تتمكن أي من الدول التسع الوصول للمستوى (أ) والذي يتطلب الإجابة الصحيحة على 42 سؤالاً.

ويذكر البحث أنه على الرغم من أن 58% من الشباب كانوا يعلمون أن مقر حركة طالبان وتنظيم القاعدة هو دولة أفغانستان، فإن 17% فقط استطاعوا تحديد مكان هذه الدولة على خريطة العالم. ويعلق رئيس الجمعية الجغرافية التي قامت بهذا البحث على أحد نتائجه التي تؤكد أن نسبة الشباب الذي يستطيع تحديد مكان الجزيرة التي تدور على أرضها أحداث إحدى الحلقات التلفزيونية الشهيرة يفوق نسبة من يستطيع تحديد مكان دولة العراق أو أفغانستان، بأن مثل هذه العروض

التلفزيونية قد تبدو للشباب الأمريكي أكثر واقعية وتحمل لهم معاني أكثر من الواقع ذاته!!

وكذلك يحمل لنا هذا البحث العديد من النتائج التي تفضح مدى جهل الشباب الأمريكي، والتي إن تأملتها لأدركت أن جهلهم لا يتعلق بالعالم الخارجي فقط، بل يشمل الداخل الأمريكي ذاته. وهذه بعض النتائج التي ذكرها البحث ونشرتها شبكة CNN على شبكة المعلومات الدولية:

- 34% من الشباب الأمريكي يعلمون مكان الجزيرة التي يصور عليها البرنامج التليفزيوني الشهير (Survivor)، بينما 30% منهم فقط يستطيعون تحديد مكان ولاية نيوجيرسي الأمريكية!!
- عندما طلب من الشباب الأمريكي تحديد 10 ولايات على ساحل المحيط الهادئ، لم يستطع غالبيتهم تحديد سوى ولايتي كاليفورنيا وتكساس، واستطاع 51% منهم فقط تحديد مكان ولاية نيويورك ثاني أهم الولايات الأمريكية!!
- 89% من الشباب الأمريكي استطاع تحديد دولته -الولايات المتحدة- على خريطة العالم !!!
- على الرغم من أن 81% من الشباب الأمريكي يعلم أن الشرق الأوسط هو أكبر تجمع لمصدري البترول في العالم، فإن 24% منهم فقط استطاعوا تحديد مكان المملكة العربية السعودية على خريطة العالم!!

جهل الإدارة والمؤسسات الحاكمة

وإن كان ما سبق من عرض لمظهر من مظاهر الجهل المتعددة داخل المجتمع الأمريكي قد أصابك بالدهشة من أن يكون هذا الشعب قد اعتلى قمة العالم، فما هو آتٍ أصعب أن يصدق. فالجهل لو انتشر بين العوام لكان أهون من أن يلتصق بطبقة الحكام. إن أحداث الحادي عشر من سبتمبر قد رفعت الغطاء وكشفت الكثير من الثغرات التي أخفاها الإعلام الموجه الزائف الذي صور لنا الإدارة الأمريكية بأنها أعلم حكومات الأرض بشعوب الأرض.

اللهجات العربية مأزق ال FBI

طالعت الصحف الأمريكية شعبها بأخبار تكشف وتنتقد مدى الضعف الذي تعانيه الإدارة الأمريكية بعد أن أجبرتها أحداث الحادي عشر من سبتمبر على النزول إلى أرض المعركة. وكان على رأس أجهزة الإدارة الأمريكية التي حظيت بنصيب الأسد من النقد اللاذع هو مكتب التحقيقات الفيدرالي FBI الذي سارع بمحاولة من جانبه لإجراء سلسلة من الإصلاحات والتطوير من بينها الاهتمام بقسم الترجمة العربية إلا أن مقالة نشرها أحد متخصصي دراسات الشرق الأوسط بإحدى الصحف الأمريكية أكدت أن اللهجات العربية مازالت تمثل خللاً رئيسيًا يهدد كفاءة هذه المؤسسة الأمنية وأكد أن سلوك واتجاه الإدارة في الإصلاح فضحت مدى جهلهم بالواقع المحيط.

تبدأ فصول القصة عندما أعلن مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي عن خطته لإعادة هيكلة الجهاز وتطوير قدراته وذلك بوضع الأشخاص المؤهلين وذوي الخبرة في الأماكن المناسبة، وتم الإعلان عن طلب مترجمي لغة عربية، فتقدم كاتب هذه المقالة د.جيوف بورتر ومعه ستة آخرون من متخصصي دراسات الشرق الأوسط كلهم مثله تمامًا على معرفة بواحدة أو أكثر من اللهجات الإقليمية بجانب اللغة الفصحى، ولكنهم فزعوا جميعًا لما وجدوه من عيب كبير وخلل في تفهم هذه المؤسسة لمعنى إجادة اللغة العربية.

فقد اقتصر الاختبار -كما يؤكد بورتر- على اللغة العربية الفصحى فقط والتي تدرس في الجامعات الأمريكية وتبث من خلال قنوات الأخبار في العالم العربي وتستخدم في الأحاديث الرسمية، ولكنها بعيدة بشكل كبير عن لغة رجل الشارع العربي ولا تستخدم في الأحاديث العادية والتي تختلف من بقعة إلى أخرى بشكل كبير داخل الوطن العربي. فعلى الرغم من أن هذه اللهجات هي لغة السوق والمنزل والشارع ويستخدمها أكثر من 200 مليون عربي فإن الاختبار قد أغفلها تمامًا على الرغم من احتوائه على قطعة فهم سماعية!!

كيف بعد هذه السقطة المعلوماتية نستطيع أن نصدق أوهام آلة الإعلام الأمريكية التي تؤكد بكل ألوانها على أن القدرات التي تتمتع بها الأجهزة الأمنية في الولايات المتحدة الأمريكية تمكنها من رصد كل شيء وأي شيء في وطننا العربي ليل نهار ... إن ما تعانيه الإدارة الأمريكية

من جهل فضحته أحداث الحادي عشر من سبتمبر سيجعلها تعيد النظر في خطابها الإعلامي الموجه للوطن العربي وستجعلنا نعيد النظر في الإدارة التي تحدد قراراتها مصائر الشعوب.

سقطة معلوماتية أخرى

جهل الإدارة الأمريكية بثقافات الشعوب

الجهل بالثقافة الإسلامية نموذجًا

إن الأخطاء التي ارتكبتها وترتكبها الإدارة الأمريكية لا تنتهي وتظهر لنا كل يوم مظهرًا جديدًا من مظاهر الجهل الفاضح. الغريب أن الإدارة الأمريكية لا تدرك أحيانًا حجم الخطأ الذي وقعت فيه وهو ما يجعل الكارثة أكبر خاصة أمام المحللين السياسيين وأصحاب الأقلام الأمريكية وغير الأمريكية.

تحت عنوان "توكلت على الله" قدم لنا الكاتب السياسي الكبير السيد ياسين مقالاً تحليليًا بجريدة الأهرام يوضح لنا فيه كيفية تعامل الإدارة الأمريكية مع حادث تحطم طائرة مصر للطيران بالقرب من الأراضي الأمريكية اعتمادًا على تفسير عبارة "توكلت على الله" التي نطق بها قائد الطائرة على أنها تمهيد لانتحاره، معلقا على أن ذلك يكشف عن جهل عميق بالثقافة الإسلامية وأساليب السلوك التي يمارسها المسلمون في حياتهم اليومية كل يوم.

ويعود بنا ذلك إلى مسألة ضعف المؤسسات الأمنية الأمريكية وعدم قدرتها على التواصل مع عالم جديد تتلون ثقافاته وتتشكل بعيدًا عن الربوة العالية التي انعزلت داخلها الولايات المتحدة بإرادتها.

فالتحليل الصحيح لعبارة توكلت على الله التي نطق بها الكابتن البطوطي لا يستطيع تقديمه مترجم غريب عن روح الثقافة الإسلامية مهما بلغت كفاءته التقنية. فأصول استخدام مثل هذه العبارات الدينية والتأويل الصحيح لمثل هذا الحادث يستلزم إعادة هيكلة المؤسسات الأمريكية وتغذيتها بعناصر أكثر خبرة وأكثر إلمامًا بثقافات الشعوب المختلفة.

المستنقع الفيتنامي - المستنقع العراقي... نموذج آخر

يكشف المحللون السياسيون أن جهل الولايات المتحدة بثقافات الشعوب لم يتم اكتشافه حديثًا بل له جذور تضرب في عمق التاريخ الحديث وأن السقطات التي سببها هذا الجهل تتكرر تفاصيلها بشكل يدعو إلى السخرية وإلى التعجب من عدم تعلم الإدارة الأمريكية من أخطائها السابقة ومحاولة إصلاحها.

يذكر التاريخ أنه بعد الفشل الذي منيت به الولايات المتحدة الأمريكية في فيتنام وما فوجئت به من قدرة الشعب الفيتنامي على الصمود أمام آلة الحرب الأمريكية الجبارة قامت إحدى المؤسسات الاستراتيجية الأمريكية بدراسة على عينة من أسرى الحرب الفيتناميين في محاوله منها للوصول لمنبع الروح الفدائية والشراسة التي اتسم بها

الفيتناميون في الدفاع عن أرضهم. وتوصلوا في النهاية إلى أن تعمق روح الانتماء لدى الشعب الفيتنامي هي ما أدى في النهاية إلى هزيمة ساحقة للقوة العسكرية الأولى في العالم.

رغم ما كشفت عنه الحرب الفيتنامية-الأمريكية من أهمية وجود دراسة علمية متخصصة للشخصيات القومية لكل الشعوب باعتبار الولايات المتحدة تعتلي قمة العالم، فإن الولايات المتحدة حين قررت التحرك بجيوشها إلى بغداد تجاهلت كل ذلك ووقعت مجددًا في نفس الخطأ الفادح الذي جعل الجنود الأمريكيين يسقطون في مستنقع جديد ونفس المفاجأة واجهتهم حين صورت لهم إدارتهم خطأ أن أفراد الشعب العراقي سوف يستقبلون المحتلين بالورود. ورغم غطرسة بوش وإصراره على أنه لم يفشل في العراق فإن كل يوم جديد يأتي لنا بأنباء عن سقوط قتلى أمريكيين جدد حتى خرج الأمر عن حدود السيطرة الإعلامية الأمريكية. فقامت المظاهرات الحاشدة في أرجاء الولايات المتحدة الأمريكية تطالب بوش بالتوقف عن التضحية بمزيد من دماء الشباب الأمريكي حتى لا يعترف بخطئه وفشل إدارته في التعامل مع الأزمة العراقية.

دعوة لمحو الأمية الأمريكية

أصابت نتائج مثل هذه الأبحاث والدراسات أصحاب الرأي والمفكرين الأمريكيين بحالة من الهلع وسارعت أقلامهم تدعو لحملة قومية لمحو أمية هذا الشعب.. لا تتعجب حاول أن تصدق ما تقرؤه.. أكثر

الدول تقدمًا في العالم تسعى لمحو أمية شعبها!! فهذا الجهل لم يعد مجرد عار يخجل منه الأمريكيون بل صار خطرًا يهدد أمنهم ومستقبلهم في ظل مستجدات عصر ما بعد الحادي عشر من سبتمبر.

فنجد رئيس المؤسسة الجغرافية العالمية التي قامت بالبحث الخاص بثقافة الشباب الأمريكي يعلق في قلق إن الحروب كانت في السابق هي السبيل القدري الذي يحمل معلومات عن العالم الخارجي وجغرافيته، إلا أن الأمر لم يعد كذلك مع الشعب الأمريكي الذي أكد البحث -والذي تم إجراؤه بعد إعلان حكومتهم شن الحرب على العراق -بأنهم لا يستطيعون مجرد تحديد موقعها على خريطة العالم. لذلك فقد أعلن أن مؤسسته تهيب بأصحاب القرار ورجال الأعمال وأصحاب المؤسسات الإعلامية الكبرى للعمل على إيجاد طريقة لرفع مستوى وعي الشباب الأمريكي بالأحداث العامة وكذلك العمل على تطوير أسلوب تدريس الجغرافيا في الولايات المتحدة لتشجيع الشباب على متابعة الأحداث العامة في العالم.

لم يقتصر الأمر عند هذا الحد، فقد طالعنا موقع قناة الجزيرة الإخبارية على شبكة المعلومات الدولية بخبر تحت عنوان "الجهل الأمريكي صار خطرًا أمنيًا" كان مضمونه أن مجموعة شكلت من كبار رجال السياسة في الولايات المتحدة قد أصدرت تقريرًا تدين فيه مدى جهل الشعب الأمريكي بالعالم الخارجي وتحذر من أن عزوف المجتمع الأمريكي عن التعرف على الحضارات الأخرى قد يتحول إلى خطر كبير

يهدد الأمن القومي للولايات المتحدة.

وأكدت هذه المجموعة السياسية -التي شملت مسؤولين عن التعليم- أن هذا الجهل وصل ذروته يوم الحادي عشر من سبتمبر حين اضطر المواطنون الأمريكيون لسؤال أنفسهم أسئلة من قبيل "من أين أتوا هؤلاء الإرهابيون؟" و"لماذا نحن بالذات؟" ويصر أعضاء هذه المجموعة على أن هذه الأسئلة لها إجابة واحدة هي أن المواطن الأمريكي يجهل كل شيء عن الشرق الأوسط ومشاكله ويعاني من ضحالة معرفته بالعالم ككل.

وكذلك نددت هذه المجموعة ببعض سلوكيات المواطنين الأمريكيين ومنها تباهيهم بأنهم لا يتحدثون سوى اللغة الإنجليزية كنوع من الافتخار بقوميتهم. وأكدت على أنهم بذلك يعرضون أنفسهم لمخاطرة شديدة بإصرارهم على وحدوية اللغة Monolingualism وتجاهل ثقافة الآخر ولذلك أوصت في تقريرها على ضرورة تعرف الأمريكيين على لغات جيرانهم وتفهم أفعالهم وسلوكياتهم وإلا لن يتسنى للولايات المتحدة الاحتفاظ بأمنها القومي أو مكانتها كقوة اقتصادية وعسكرية كبرى.

هل هو إصرار على الجهل؟

بعد هذه الدعوة التي تبناها العديد من رجال السياسة والفكر، بدأت بعض المؤسسات في التحرك بعد أن شعرت بالخطر الذي يهدد أمنهم القومي، حيث قامت بعض الجهات التعليمية بمحاولة جادة لتصحيح

وتعديل النظرة الأمريكية للعالم الخارجي، ومحاولة إعطاء الشباب الأمريكي فرصة للتعرف على الثقافات الأخرى من أكثر من منظور. وقد قوبلت هذه التحركات بترحيب من معظم الشباب الذي أدرك أنه بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر لم يعد هناك مكان لأفكار الانعزالية ورفض ثقافة الآخر.

الغريب هنا أن هناك مؤسسات وأفرادًا موالين للإدارة الأمريكية قد قابلت هذه التحركات برفض شديد وهجوم أشد بلا سبب واضح، وكأنه إصرار منهم على تغييب هذا الشعب ومحاولة إبعاده عن الرؤية الصحيحة للعالم قدر الإمكان. وسأرصد لك هنا محاولتين إحداهما لمؤسسة تعليمية والأخرى لأحد أصحاب الأقلام تعرض كلاهما لهجوم عنيف.

هجوم على جامعة أمريكية لتدريسها كتابًا عن القرآن

طالعت جريدة الهيرالد تريبيون قراءها بخبر عن مواجهة جامعة نورث كارولينا الأمريكية دعوى قضائية لتدريسها كتاب عن الإسلام لطلابها الجدد. حيث اختارت الجامعة كتابًا عن القرآن الكريم لأحد أساتذة الدين المقارن يدعى مايكل سيلز بعنوان "Approaching Qura'n" حيث رأت الجامعة ضرورة الاطلاع على الفكر الإسلامي عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر، إلا أنها وجدت نفسها أمام دعوى قضائية وهجوم عنيف في الإذاعة وقنوات التلفزيون من قبل بعض الجماعات

المسيحية المتشددة ورجال الفكر الذين عارضوا هذا الأمر بشدة متسائلين عن الهدف من دراسة "ديانة الأعداء".

وفي إحدى اللقاءات التلفزيونية أكد بعض من ممثلي هذه الجماعات والاتجاهات على أن القرآن يدعو للعنف وأن معظم المسلمين يؤيدون الإرهاب. وقال أحدهم إن جامعة "حكومية" كجامعة نورث كارولينا قد تعدت كل الخطوط الحمراء بهذه الخطوة. وذلك نفسه هو فحوى الدعوى القضائية التي تقول إن قيام جامعة حكومية بإلزام الطلاب بدراسة ديانة بعينها أمر غير دستوري.

ويؤكد رئيس الجمعية التي أقامت الدعوى أن الكتاب الذي تم تدريسه أحادي النظرة في عرضه للقرآن، لأنه أغفل السور رقم 4 و5 و6 (ويقصد النساء والمائدة والتوبة) وهي -والكلام لرئيس الجمعية- التي تحتوي على آيات تدعو لقتل الكفار وهي في رأيه المبرر للإرهاب في الفكر الإسلامي، ويرى أن الكتاب محاولة لتحسين صورة الدين الإسلامي لا أكثر.

أما مايكل سيلز -مؤلف ومترجم الكتاب- والذي يبدو أنه قد استجاب لدعوات محو أمية الشباب الأمريكي وضرورة عرض الصورة كاملة أمامهم فقد أكد أن الهدف من كتابه هو معرفة السبب الذي جعل ملايين المسلمين من جميع الأجناس يقتنعون بهذا الدين تمامًا مثل اقتناع المسيحيين بدينهم. كما أكد على ضرورة وجود مثل هذا الكتاب بعد أن تضاعف عدد الباحثين وأعيد طبع العديد من نسخ الكتب الإسلامية بعد نفادها لأن ذلك هو التصرف الصحيح للشباب لتعديل مسارهم والتكيف

مع معطيات الواقع الجديد.

إن هذه الدعوى القضائية تكشف كيف تعاملت دولة "مصدرة" للديمقراطية مع مبدأ الرأي والرأي الآخر، كيف يرى أصحاب الفكر أن دراسة فكر آخر أو دين آخر هو تعدٍّ للخطوط الحمراء!! هل هو خوف من المواجهة أم إصرار على الجهل؟!!

مايكل مور يبحث عن دولة الحريات

لم تقتصر محاولات الرافضين لدعوات محو الأمية الأمريكية عند المؤسسات الحكومية بل تعدت لتشمل أصحاب الرأي والمفكرين، وتشكل سقفًا جديدًا لحرية الفكر ومورست صور كاملة للرقابة على الأقلام بشكل يهدم منظومة الحرية التي طالما تمسحت بها الدولة الأمريكية.

من أشهر محاولات الإدارة الحاكمة مصادرة الرأي الآخر تلك التي تعرض لها الكاتب الأمريكي مايكل مور عندما منعت مؤسسة والت ديزني الأمريكية توزيع فيلمه الوثائقي فهرنهايت 11/9 لما يقدمه الفيلم من فضح لسياسات إدارة الرئيس بوش وانتقاده لرد فعلها العنيف والمتسرع تجاه أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

لقد حاول مايكل مور بهذا الفيلم -الذي اشتمل على مقابلات مع جنود أمريكيين رافضين للحرب على العراق- أن يعطي الشاب الأمريكي المغيب والموجه إعلاميا الفرصة لرؤية سياسية مختلفة تتيح له الفرصة للمقارنة وممارسة حقه الطبيعي في التفكير النقدي السليم. إلا أنه صدم

بما قامت به هذه المؤسسة الإعلامية الكبيرة التي علق أحد المفكرين بأسفه من أن يتحول عملاق إعلامي مثل مؤسسة ديزني لشرطي يعمل لحساب الإدارة الأمريكية.

ورغم كل ذلك يستمر مايكل مور في محاولاته ويصدم الجميع بكتابه "هل سيثقون ثانية بالولايات المتحدة؟.. خطابات من ساحة المعركة" الذي عرض فيه خطابات أرسلها الجنود الأمريكيون الموجودون في العراق الذين اكتشفوا ما خلفه جهلهم بالعالم من عواقب وما سببه انسياقهم وراء الإعلام المزيف من أخطار جعلتهم يندمون على ذهابهم للعراق، فكلهم أكدوا أن كل الأسباب التي ذهبوا من أجلها والتي غذتهم بها الإدارة الأمريكية لا أساس لها على الإطلاق، وود معظمهم أن تصل خطاباتهم لكل شاب أمريكي ليعرف الحقيقة كاملة وليزول الوهم عن عقول الناخبين ليدركوا مدى خطورة اختيارهم على مستقبلهم قبل مستقبل العالم.

وأخيرًا ...

إن كل ما سبق سرده من مظاهر للجهل على مستوى الأفراد أو المؤسسات في الولايات المتحدة الأمريكية قد نجده بأي شعب آخر وقد تزيد حدته، وذكر هذه المظاهر ليس من باب تصيد الأخطاء ولكن الخطر الذي خلفه جهل الشعب الأمريكي لم يعد شأنًا داخليًا بل إنه عبر الحدود جميعا ووصلت آثاره إلى كل فرد في أنحاء المعمورة ليصبح خطرًا يهدد أمن العالم كله، ويلخص ذلك كله قول مأثور لأحد الكتاب الأمريكيين الذي

يقول فيه "إنه من المؤكد بأي حال أن الجهل –إن حالفته القوة– سيكون أكثر أعداء العدالة ضراوة" وهذا هو محور الحديث، القوة.والجهل، ذلك الثنائي المخيف الذي يعصف بكل حضارة، فالقوة التي تتمتع بها الولايات المتحدة على المستوى الاقتصادي والعسكري التي جعلتها تعتلي قمة العالم جعل القلق من جهل شعبها يتسرب لشعوب العالم أجمع لتصبح الدعوة لمحو الأمية الأمريكية مطلبًا دوليًا.

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هُمو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

أحمد شوقي

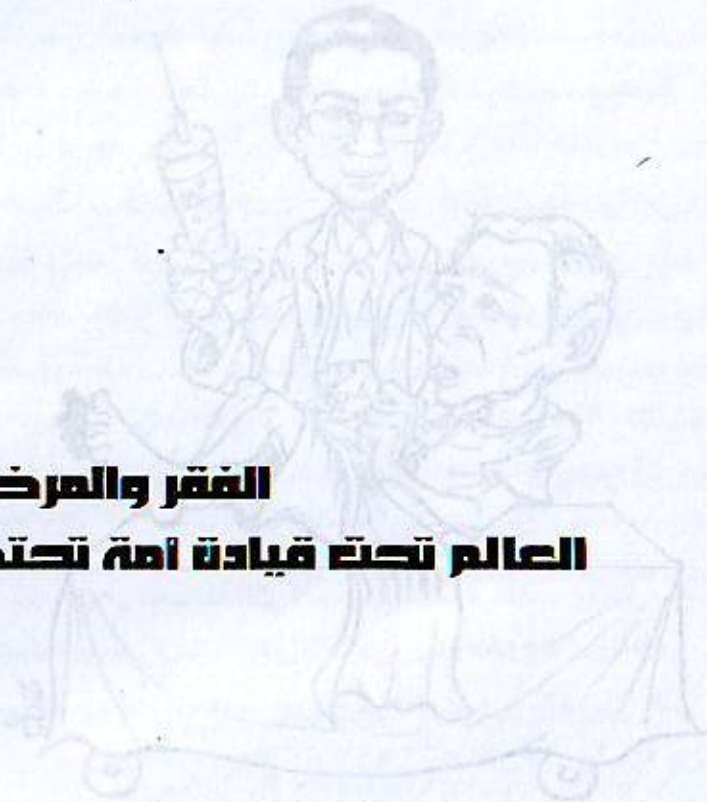

الفقر والمرض..

العالم تحت قيادة أمة تحتضر

أحيانًا ما تستوقف الإنسان جملة أو كلمة تجعله يغير من نظرته للأمور ويعيد ترتيب أفكاره ويعيد تعريف مصطلحاته.. فقد نجد مصطلحات اعتدنا عليها وتكونت لدينا حدودها الإدراكية دون سبب، ثم نكتشف يومًا ما أن هذا المصطلح بعيد كل البعد عن معناه الذي ندركه.. ونجد أن كل خبراتنا التي كونتها تلك المصطلحات تنهار لتتكشف لنا معانٍ جديدة لكل شيء فنرى الدنيا بعيون جديدة أو بمعنى أدق بعيون صادقة.

تلك العيون الصادقة التي تعكس إحساسًا في القلب والعقل بأن ظلمة قد ذهبت وأن نورًا قد بدأ ينير الطريق، وهو نفس الشعور الذي يأتيك وأنت تقرأ رواية أو حديثًا من الأحاديث النبوية الشريفة التي تغير مصطلحاتك وإدراكك للكلمات تمامًا، وهي تلك التي تأتي بأسئلة من قبيل "أتدرون من المفلس.." أو "أتدرون ما الصرعة.." ثم يأتي الحديث بمستويين لإدراك المعنى أحدهما المعنى المتفق عليه بين الناس ويأتي في ردهم على السؤال، والآخر يأتي به الحديث مصححًا له واضعًا المعنى الحقيقي للكلمة بعيدًا عن أي زيف أو خلط للأمور.

مررت بالخبرة ذاتها وأنا أقرأ مقالاً للشيخ يوسف القرضاوي على شبكة المعلومات الدولية تحت عنوان (الصحة من منظور إسلامي) والتي يبحث فيها جاهدًا عن المعنى الحقيقي لمصطلحي الصحة والمرض، ويضع لنا رؤية جديدة تستطيع معها عقولنا أن تميز المريض من الصحيح.. ووصل في نهاية مقاله إلى تصور يرى به الحضارة الغربية مريضة مفتقرة للجانب الروحاني الذي هو عصب أي حضارة وهو الجانب الذي أغفله الغرب وأهمله في سبيل الوصول لأغراضه.

ورغم اقتناعي بكل كلمة جاءت بمقالة الشيخ يوسف القرضاوي فإني وجدت أن هذا النقد الموجه للغرب لا يمكن أن أطرحه هنا تطبيقًا على النموذج الأمريكي لأن كاتبه رجل دين مسلم، وأنه من الأدق أن يكون الأمر بيد رجال الدين والفكر الذي يعتنقه معظم الشعب الأمريكي وهنا قررت أن أبحث عن رأي أهل الدين المسيحي ورموزه في الوضع داخل المجتمع الأمريكي على الأخص لأن الهدف هنا هو الحكم على موقع هذا البلد بين الصحة والمرض.

الفقر الروحاني.. المرض المجتمعي

الشعب الأمريكي.. حياة بلا روح

لم يختلف الأمر كثيرا حين بحثت عن آراء رجال الدين المسيحي، فأول ما وجدت تصريحان أحدهما للأم تريزا –أحد أهم الرموز المسيحية في العالم والحاصلة على جائزة نوبل– تقول فيه: "لم أجد فقرًا في حياتي كالفقر الروحاني الأمريكي" والآخر للبابا يوحنا بولس الثاني بابا

الفاتيكان الراحل أعلن فيه قلقه لعدد من الأساقفة الأمريكيين من الفقر الروحاني الأمريكي محذرًا إياهم من التحول الخطير الذي يشهده المجتمع الأمريكي بعيدًا عن الروحانية في سبيل رغباته المادية واصفًا الحياة الأمريكية بأنها حياة "بلا روح" وكان ذلك في تعقيب على ما أوضحته أحد الاستفتاءات بأن 71% من الأمريكيين يرفضون ضغوط الكنيسة ورجال الدين على السياسيين لمنع عمليات الإجهاض.

لم تكن هذه النتيجة الصادمة للكنيسة أمرًا غريبًا، بل إن الأرقام والنتائج التي تظهرها الإحصائيات كل يوم عن الخلل الذي أصاب الحياة الدينية والأخلاقية داخل المجتمع الأمريكي لا تتوقف، أتذكر نتائج أحد تلك الاستطلاعات الذي نشرته جريدة المصري اليوم نقلاً عن مكتب الإحصاء القومي الأمريكي يحدد رسميًا نسبة عدد الشواذ بـ 6% من رجال الشعب الأمريكي ونسبة عدد السحاقيات بـ 11.2% من نسائه، وأظهر استطلاع آخر لشبكة "إيه.بي.سي نيوز" الإخبارية نشرته على شبكة المعلومات الدولية بأن 13% من الأمريكيين لا يعتنقون أي ديانة (ما بين ملحدين ولا أدريين)، ناهيك عن عدد لا ينتهي من الاستطلاعات والإحصائيات التي تشير نتائجها إلى أن النسبة المتبقية من الشعب الأمريكي الذين يعتبرون أنفسهم مسيحيين معظمهم لا يرتادون الكنائس دوريًا أو لا يرتادونها مطلقًا.

إن تفسير مثل هذه النتائج أمر معقد، إلا أنني قرأت مقالاً لأحد الأمريكيين نشره على شبكة المعلومات الدولية تحت عنوان "القيم والكنيسة والمجتمع الأمريكي" وجدت فيه ردًا مبسطا وشاملاً، حيث

يعلن الكاتب عن أزمته في مجتمع بلا معايير توضح الخطأ من الصواب وتفصل بين الحلال والحرام، معلقًا على ازدياد نسبة تقبل فكرة وجود الشواذ بين أفراد الشعب ومعربًا عن صدمته في النظر إلى عمليات الإجهاض على أنه سلوك شخصي حر ليس لأحد أو لجهة حق التدخل فيه إلا صاحبه ذاكرًا أن مثل هذه الأمور هي التي أدت إلى عدم اهتمام المواطن الأمريكي بالكنيسة أو المؤسسات الدينية.

تساءل كاتب هذا المقال كيف يمكن لشعب تنظر مؤسساته لمسألة الشذوذ الجنسي على أنها أمر طبيعي خاص بمشاعر صاحبه التي تحركه والتي تبرر له ذلك، أن يرى الخطأ من الصواب، فمثل هذا المنطق يجعل أي سلوك شاذ تحركه مشاعر طبيعية أمرًا مبررًا، فماذا عمن تحركه مشاعره للاعتداء على الأطفال؟!! ويقر كاتب المقال بأن الشارع الأمريكي لم يعد آمنًا، فلم يعد يستطيع أن يأمن أن يخرج ابنه بمفرده أبدًا، إن أزمة انهيار الأخلاق وما تبعه ذلك من خلل في النظام الاجتماعي أدت إلى فقدان الثقة في المؤسسات الدينية.

نفس الأمر تناوله أحد علماء النفس الاجتماعي الأمريكيين يدعى ديفيد مايرز في كتابه "الجوع الروحاني في زمن الرخاء" والذي درس فيه بشكل علمي الأمراض الاجتماعية التي أصابت الشعب الأمريكي من الستينيات وحتى أواخر التسعينيات، وأثبتت الدراسة أن المادية المطلقة والفردية التي تميزت بها تلك الفترة كلفت الشعب الأمريكي الكثير، ففي مستهل القرن الجديد تسجل أرقام الثروة المادية ارتفاعًا كل يوم بينما

تعكس المشاكل المجتمعية فقرًا روحانيًا شديدًا، ويطالب الكاتب في النهاية بـ"أمريكا جديدة" و"حلم أمريكي جديد" ويدعو لتحرك جمعي لمواجهة هذا الخطر.

المؤسسات الحاكمة.. لعبة الدين والسياسة

إذا كان التردي قد أصاب المواطن الأمريكي لهذا الحد إزاء الدين والمؤسسات الدينية، سواء بهجرها أو إغفالها، فإن الأمر لدى الإدارة الحاكمة والمؤسسات السياسية أسوأ وأخطر، فالساسة الأمريكيون اختاروا لعبة الدين والسياسة على نهج مقولة كارل ماركس "الدين أفيون الشعوب" تلك المقولة الشهيرة التي نجد صداها ومفعولها مازال يسلك مجراه بدروب السياسة الوعرة بكل ثقة ليثبت يومًا بعد يوم صحة المقولة، فإشكالية الدين والسياسة، الربط أو الفصل بينهما، ظل حديثًا وجدلاً بين الحكام والساعين لتحقيق الديمقراطية والذين يرون ضرورة الفصل بينهما تمامًا، ومن هذا الفريق الولايات المتحدة الأمريكية التي تحذر كل يوم من خطورة سيطرة الدين على الحكم، ولكن المتابع بدقة لموقف الإدارة الأمريكية والمؤسسات الحاكمة هناك يرى ما وراء الستار ويكتشف ما بين السطور.

في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر، ونشر صور وهوية المتهمين بالتفجيرات، امتلأت الصحف الأمريكية مثل "النيوزويك" و"النيويورك تايمز" بالمقالات التي تحذر من خطورة التحالف بين الفكر الوهابي المتشدد وأموال البترول بالخليج العربي والتي -برأيهم- قد

أفرزت هؤلاء المتطرفين، نفس التعليق وجدته بنفس الألفاظ موجهًا للشعب الأمريكي في كتاب "خرافة التفوق الأمريكي" للكاتب جورج سوروس، وهو أحد الأثرياء الذي كرس ثروته وكل ما يملك لخدمة ما وصفه "بالقيم الأمريكية الحقيقية"، فقد أشار في كتابه إلى خطورة ما أسماه بتحالف غير مقدس بين المتطرفين دينيًا والمتطرفين رأسماليًا، حيث أصبح كل فريق يغذي الآخر حتى سيطرت الجماعتان على الحزب الحاكم وأفرزت أفكاره الخاطئة لغزو العالم من أجل تحقيق الديمقراطية وحماية الأمن القومي الأمريكي.

يرى سوروس أن مثل ذلك التحالف غير المقدس، الذي من المؤسف أن المواطن الأمريكي لا يدرك مدى خطورته، قد شكل أيدلوجية متطرفة أوقعت الأمة الأمريكية في مستنقع العراق وساهمت في زيادة كراهية الشعوب لها، فأصبحت تهدد الأمن القومي الأمريكي بدلاً من حمايته.

لن أخوض في هذا الأمر كثيرًا فالمتابع لقرارات الإدارة الأمريكية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، والقارئ لمقالات المحللين وأصحاب الفكر يجد بوضوح صدق هذه الرؤية، فشبكة المعلومات الدولية تزدحم بالإحصائيات والتقارير التي تشير إلى تراجع دور الكنيسة أمام الإدارة الحاكمة بل استخدامها كسبيل لتحقيق أهداف سياسية؛ كما حدث في الانتخابات الرئاسية الأخيرة. الأمر جلل، وعدم إدراك المواطن الأمريكي له جعله يفقد الثقة في المؤسسات الدينية حتى أصبحت

الولايات المتحدة ـكما علق البابا يوحنا بولسـ أمة بلا روح.

الأسرة الأمريكية- انهيار القيم.. غياب الأخلاق

حين نتحدث عن الأسرة فإننا نتحدث عن وحدة بناء المجتمع فالأسرة السليمة تكون مجتمعًا صحيحًا، فماذا عن الأسرة الأمريكية التي تكون مجتمعًا ينادي البعض أن يكون نموذجًا لعالم متعولم، المفاجأة التي واجهتني حين قررت أن أخوض في هذا الأمر وأبحث عن حدوده ومعالمه، أن الأسرة بمعناها التقليدي السليم، والتي تعني بيتًا يكونه زوج وزوجة وأولاد قد بدأت في الانقراض.. لا تتعجب.. إنها حقيقة مرعبة جعلت البداية غير مبشرة على الإطلاق.

تحت عنوان " العائلات المتزوجة في أمريكا.. تتقرض!!" كشف أحد المواقع على شبكة المعلومات الدولية حقائق وأرقامًا مزعجة، حيث يبدأ بتقرير أصدره مكتب الإحصاء الأمريكي يشير فيه إلى أن نسبة المنازل التي تأوي عائلات متزوجة تقليدية (زوج وزوجة ـ لديهم أولاد أم لا) هي 49.8% وهذا يعني أن أكثر من نصف المجتمع الأمريكي يتراوح ما بين أسرة بعائل واحد، أو رجل وامرأة يعيشان معًا دون زواج، أو زوج من المثليين جنسيًا.. ويشير المقال إلى أن التليفزيون والمادة الإعلامية هي التي ساهمت في تقبل المواطن الأمريكي لوضع التعايش دون زواج، أو تقبله لنموذج الزواج المثلي.

نفس الأمر أكدته دراسة أجراها مشروع الزواج القومي بجامعة

روتجرز الأمريكية، حيث أشارت إلى عدم تحمس الشباب الأمريكي ـ ذكورًا وإناثًا ـ للزواج التقليدي ورؤيته على أنه تقليد عفا عليه الزمن، وتفضيلهم للعلاقات العابرة والتعايش دون زواج. أجريت الدراسة على عينة من الرجال والنساء الأمريكيين غير المتزوجين في نيوجرسي وأتلانتا ولوس أنجلوس ودالاس وشيكاغو، وأوضحت أن السبب في ذلك هو تركيز الشباب على المرح والمتعة والمكاسب المالية أكثر من الاستقرار وتكوين أسرة، كما أن السبب في تفضيلهم للعلاقات العابرة هو تخوفهم من الزواج التقليدي لما فيه من التزام اقتصادي خاصة في ظل ارتفاع معدلات الطلاق.. كذلك أشارت الدراسة إلى أن شابات كثيرات يرون أن الأمومة من دون زواج أصبحت بديلاً مناسبًا!!!!

إن هذا الحال الذي وصلت إليه العائلة الأمريكية جاء نتيجة مباشرة لانتشار فكر الفردية والاستقلالية عند الشاب، والبعد عن الكنيسة وعدم الاقتناع بدور المؤسسات الدينية، أو بأهمية الدين، والذي وصل بالأمريكيين للشك في تحكم الرب في الكون كما أظهر استطلاع لأحد المواقع الإلكترونية المتخصصة على شبكة المعلومات الدولية أشار إلى أن 44% من الأمريكيين (طبقا لعينة من 2000 مواطن) يقولون بأن الرب لا يتحكم في مجريات الأمور في الدنيا بل يراقبها فقط!! إن هذا الخلل في الإدراك لدور الدين لن يخلف إلا ذاك الانحراف الاجتماعي.

الشباب الأمريكي- أي شيء مقابل المال

"أي شيء مقابل المال" عنوان لأحد البرامج الترفيهية الأمريكية

الأكثر شهرة، والذي يقوم على فكرة اختبار لأي درجة سيتنازل الفرد من أجل الحصول على الدولارات، ورغم أنه برنامج ساخر غرضه الترفيه إلا أنه بمثابة مرآة تعكس واقعًا أليمًا لهذا المجتمع، مجتمع مستعد لفعل أي شيء مقابل الدولار، ولعل ما سبق عرضه من تخوف الشباب من الإقدام على الزواج والاكتفاء بالعلاقات العابرة كان أهم أسبابه هو البعد عن المسؤولية الاقتصادية أو أي خسائر مالية قد يسببها الطلاق!!

لعل ما جعلني أتذكر ذلك البرنامج تحقيق أجرته مجلة "ريدرز دايجست" الأكثر مبيعًا في العالم تحت عنوان "35% من الأمريكيين مستعدون لتغيير توجههم الحزبي مقابل 500 دولار!!" . . استفزني الخبر بشدة، فالأمر يتعلق بشعب يؤثر توجهه الحزبي وسلوكه الانتخابي في تشكيل حكومة تؤثر قراراتها على كل بلاد المعمورة، لعلني أتذكر لقائي بأحد الأصدقاء الأمريكيين بالقاهرة حين سألته عن هذا الأمر وعن مدى تأثير الدولار على الحياة الأمريكية، وكان رده أن المواطن الأمريكي لا تعنيه السياسة وأمورها ولا من سيحكم ومن سيغادر، ولا تهمه القضايا الدولية بقدر ما يهمه توفر النقود التي تعد أهم احتياجاته!!

أظن أن الأمر لن يستمر كذلك طويلاً، ليس لأن المواطن الأمريكي سيتوقف عن عبادة الدولار، بل لأن تداعيات ما بعد الحادي عشر من سبتمبر قد فرضت على المواطن الأمريكي الاهتمام بالقضايا الدولية، ولعله يدرك يومًا أن اقتصاده يتأثر مباشرة بكل ما يحدث في الدول البعيدة التي لم يكن يعرف أين تقع على الخريطة، فالوهم والتغييب الإعلامي الذي تمارسه الإدارة الأمريكية لن يصمد أمام سقطات قراراتها

التي تكشف كل يوم للمواطن الأمريكي كم كان مُغيبًا.

في كتابه "هل سيثقون بأمريكا مرة أخرى.. خطابات من ساحة المعركة" أفرد الكاتب الأمريكي الشهير مايكل مور مساحة لكل الجنود الأمريكيين بالعراق وأفغانستان، وكذلك عائلاتهم، مساحة للتعبير عن كل مشاعرهم تجاه ما وجدوه بعد الذهاب للعراق، فامتلأت سطور الكتاب بكل معاني الصدمة وزوال الوهم، ولكن أكثر ما لفت نظري خطاب من أحد الشباب المجندين والذي يقول فيه إنه دخل الجيش الأمريكي بناء على "إعلان" يقول اخدم بلدك مقابل ... دولار!" وأنه ذهب لهذا السبب فقط، ويوجه كلامه لمايكل مور قائلاً لو أن الإعلان يقول "التحق بالجيش من أجل أمريكا" لكان الأمر يختلف..

نعم "أي شيء مقابل المال".. حتى حب الوطن.. إن تراجع مثل هذه القيم أمام حب الدولار، جعلت المجتمع الأمريكي مجتمعًا مريضًا، يسعى الأطباء لعلاجه، فالجميع يسعى الآن -وبعد فوات الأوان- للبحث عن كيفية زراعة حب الوطن وتنمية روح الوطنية داخل النفس الأمريكية، حتى إنهم لجؤوا إلى طبع المزيد والمزيد من الأعلام ووضعها على المباني والبيوت ولم يفلحوا فتشير الدراسات إلى أنه في عام 1996 كان نسبة المرتزقة إلى العسكريين داخل الجيش الأمريكي هي 1 : 50 ثم أصبحت 1 : 10 في 1999 ومتوقع وصولها الآن إلى 1 : 5 !!!.

شعار الشباب.. I don't Care

على نهج الاستطلاعات والإحصائيات التي تقول إن أكثر الأسماء

شيوعًا في العالم هو جون.. وإن أكثر الكتب مبيعًا هي كذا.. أظن أنه لو أجري استطلاع لأكثر الكلمات انتشارًا بين الشباب الأمريكي لكان (I don't care) أو (الأمر لا يعنيني).. وانتشار مثل هذا التعبير تحول مع الوقت إلى سلوك وسمة أثرت بوضوح على قيم كثيرة كاحترام الكبير وتبجيل المعلم وقيمة الأمومة وكل ما شابه ذلك من ركائز تدعم أي حضارة.. وجعلتنا نعيد النظر فيما تحويه هذه الصروح من الداخل.. فنجد أن الإحصائيات تشير إلى ذلك التردي بوضوح:

- مليون شاب وفتاة في أمريكا لم تتجاوز أعمارهم السادسة عشر يهربون من منازلهم.
- 80% من طلاب المدارس الأمريكية سلوكهم عدواني ويتحرشون بزملائهم.
- 270 ألف مسدس يحمله طلاب المدارس المتوسطة والثانوية في أمريكا كل يوم.
- 3 ملايين عمل إجرامي من كل الأنواع يقترف سنويًا داخل المؤسسات المدرسية الأمريكية.
- 5200 مدرس أمريكي يتعرضون للضرب في الشهر الواحد من قبل الطلاب.

زواج غير شرعي بين الهامبورجر واليونيسيف !!

لو كان "أي شيء مقابل المال" هو سلوك المواطن الأمريكي في

حياته . . فماذا عن الإدارة والمؤسسات ؟.. الأمر لا يختلف كثيرًا، فالدولار مازال المحرك الأساسي لكل توجهاتها.. فمهما كان دور تلك المؤسسة فإنه يتضاءل أو ينعدم " مقابل المال".

قرأت منذ فترة خبرًا على شكل دعوة لمنع "زواج باطل" بين مؤسسة اليونيسيف وأحد مطاعم الهامبورجر الأمريكية الأكثر شهرة وانتشارًا حول العالم، جاءت فحواه أن اليونيسيف وهذا المطعم قد وقعا شراكة فيما بينهما من أجل النهوض بحال الطفل. ويتعجب كاتب الخبر قائلاً إن هذا المطعم يعد أكثر المطاعم في العالم إنتاجًا لسندوتشات الوجبات السريعة، ولها شعبية كبيرة بين الأطفال إلا أنها تحوي دهون وسكريات وسعرات حرارية عالية تؤثر على صحتهم بشكل مباشر. بينما الدور الأساسي لمؤسسة اليونيسيف هو إنقاذ حياة الأطفال وبناء مستقبل أفضل لهم فكيف تكون الشراكة إذن؟؟!!

يقول الخبر إن هذا المطعم قرر أن يخصص جزءًا من ثمن كل وجبة لصالح الأطفال المحتاجين حول العالم، وكان الإعلان يقول: "بزيارتك لمطاعمنا ستساهم في مساعدة الأطفال المحتاجين حول العالم" ولكن هنا الخدعة . . فهي ليست مجرد الزيارة بل شراء وجبة وزيادة مكاسب المطعم الشهير.. ويتعجب كاتب الخبر من كيفية تراجع قيمة ودور مؤسسة عالمية بهذا الشكل أمام الدولار!!

لا يتوقف مسلسل الانهيار للقيم أمام الدولار في بورصة الأخلاق - إن صح التعبير- فحين أدركت المؤسسات الإعلامية، ما سبق ذكره من

انقراض شكل الأسرة التقليدي من أب وأم وأولاد.. واستبدال المجتمع ذلك بالمنازل التي تحوي غير متزوجين أو منتفعين ماديًا، لم تتحرك لوقف ذلك أو محاربته بل إنها غيرت مسمى فئة "الأسر" إلى فئة "المنازل" بغض النظر عما تحويه حتى يتسنى لها إحصاء نسب المشاهدة لبرامجها والاستفادة بتخصيص مواعيد الإعلانات التجارية.. إنه الدولار مرة أخرى.. "أي شيء مقابل المال"!!

لم يخلف هذا الارتفاع في قيمة الدولار داخل نفس المواطن الأمريكي إلا ترديًا أخلاقيًا وفقدان القيم معناها، مما جعل المفكرون الاجتماعيون الأمريكيون يصرخون محذرين من عواقب ذلك على الأجيال القادمة، كتب أحدهم يتعجب من كتابة أحد الأقوال المأثورة لسقراط وهو "الحياة غير المجربة لا تستحق أن تعيشها" في بداية أحد إعلانات البورنو.. كيف تغير مفهوم القيمة والمثل إلى هذا الحد وكيف تحول معناها، لقد حذر أصحاب الفكر مما وصل إليه حال المواطن الأمريكي من ضربه القيم عرض الحائط، حتى لم يصبح هناك صواب وخطأ أو حلال وحرام.. بل هناك فقط ما يريد وما يشعر.. إنها ليست حضارة.. إنها قمة الانحدار الإنساني.

وأخيرًا ..

أكرر مرة أخرى أن كل هذه المظاهر قد يتواجد معظمها أو كلها في أي مجتمع آخر، ولكن المجتمع الأمريكي بما يمثله الآن من نموذج تسير خلفه المجتمعات، وبما تملكه الدولة الأمريكية من آلة إعلامية تصل لكل مكان في العالم، جعل الشأن الداخلي الأمريكي شأنًا كونيًا إن صح التعبير، وجعل من حق الجميع أن يسأل: إلى أين نحن سائرون.. وجعل من حق الجميع أيضًا أن يطالب الولايات المتحدة بإصلاح مجتمعها الفقير المريض أو التخلي من مقعد القيادة، وإفساح المجال لحضارة أخرى نضمن معها مستقبلاً أفضل لأولادنا.

قالوا السياسة مهلكة بشكل عام

وبحورها يا بني خشنة مش ريش نعام

غوص فيها تلقى الغرقانين كلهم

شايلين غنايم . . والخفيف اللي عام

عجبي !!

صلاح جاهين

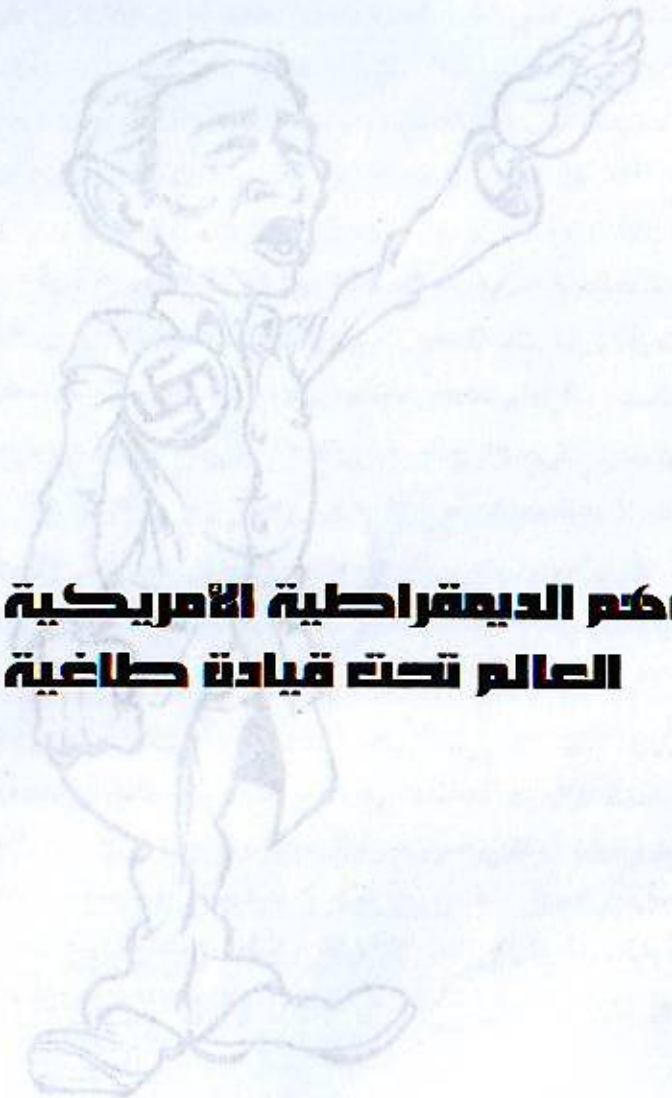

وهم الديمقراطية الأمريكية
العالم تحت قيادة طاغية

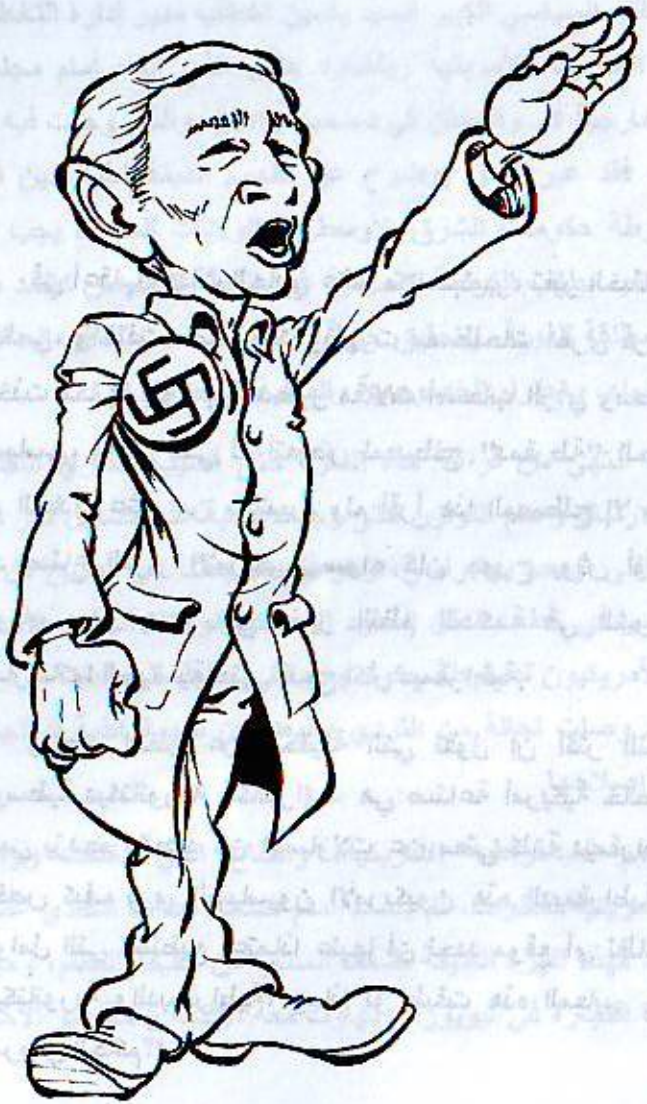

في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر، تغير الخطاب السياسي العالمي، واختفت مصطلحات وظهرت مصطلحات أخرى فرضت نفسها وأخذت مكانها بقوة بين سطور مقالات أصحاب الرأي ومحللي المشهد السياسي، وأظن أنني لم أتعرض لمصطلح "دمقرطة" الحكومات، إلا بعد الحادي عشر من سبتمبر، ولم أقرأ هذا المصطلح إلا مقترنًا باسم أحد صناع القرار الأمريكيين سواء كان جورج بوش أو أحد أفراد إدارته، وهو يدعو إلى تغيير النظم الحاكمة في الشرق الأوسط لممارساتها السياسية حتى تصبح أكثر ديمقراطية.

وبغض النظر عن الحقيقة التي تقول إن أكثر النظم الشرق الأوسطية ديكتاتورية -كالعراق- هي صناعة أمريكية خالصة، وجدت رأسي يزدحم بالعديد من التساؤلات عن معنى كلمة ديمقراطية، وعلى الأخص كيف يرى السياسيون الأمريكيون هذه الديمقراطية، وما هي العوامل التي نستطيع اعتمادًا عليها أن نحدد موقع أي نظام حاكم بين الديكتاتورية والديمقراطية؟ وماذا لو طبقت هذه المعايير على النظام الأمريكي الحاكم؟!

في كتابه "الإمبراطورية الكونية.. الصراع ضد الهيمنة الأمريكية" يتعرض الكاتب السياسي الكبير السيد ياسين لخطاب مدير إدارة التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية ريتشارد هاس الذي ألقاه أمام مجلس العلاقات الخارجية في واشنطن في ديسمبر 2002، والذي وجدت فيه ما أبحث عنه، فقد عبر هاس بوضوح عن مفهوم الديمقراطية حين قال داعيًا لدمقرطة حكومات الشرق الأوسط إن الولايات المتحدة يجب أن تقف إلى جانب مطالب الكرامة الإنسانية غير القابلة للتفاوض كالحد من السلطات المطلقة للدولة، وتحقيق حرية التعبير، والمساواة في العدالة، واحترام النساء، واحترام الخصوصية والملكية الخاصة.

لم أكد أنتهي من قراءة هذه الفقرة حتى أصيب تفكيري النقدي بحالة من الارتباك وعدم التوازن حتى وجدت إجابة على تساؤل آخر من التساؤلات التي ازدحم بها رأسي، وهو أنه إذا بحثنا عن تطبيق كل ما نادى به هاس في خطابه داخل الحدود الأمريكية لوجدنا أنه من الأجدى أن يسعى الأمريكيون لدمقرطة حكومتهم والتي -طبقًا للمعطيات الواردة بخطابه- قد وصلت لحالة من التردي والبعد عن الديمقراطية قد تجعل من الصعب إصلاحها.

إن وهم الديمقراطية الأمريكية، والقناع الذي اختفت وراءه الحكومة الأمريكية لسنوات، لم يصمد أمام صدمة أحداث الحادي عشر من سبتمبر، فهذه الهزة العنيفة كشفت الستار عن حقيقة النظام، وحين تهاوى برجا التجارة في نيويورك، تهاوت معه الأقنعة واحدًا تلو الأخر،

ليكتشف المواطن الأمريكي كم كان مغيبًا ومخدوعًا، ويكتشف العالم كله أوهام الديمقراطية الكاذبة.

وهم الحكومة الديمقراطية

بوش.. الحاكم الديكتاتور

الحرب على العراق نموذجًا

تعرف الديمقراطية في جميع دوائر المعارف على أنها "حكم الشعب" سواء بشكل مباشر كما كان الأمر في الديمقراطيات اليونانية القديمة، أو بشكل غير مباشر كما يحدث الآن من خلال انتخاب الشعب لحاكمه عن طريق انتخابات حرة، ومسؤولية هذا الحاكم الديمقراطي هو تنفيذ إرادة الشعب كما يقول جان جاك روسو "الإرادة الثابتة لجميع أعضاء الدولة هي الإرادة العامة، وبواسطتها يكونون مواطنين أحرارا"، فماذا فعل بوش بإرادة شعبه العامة؟ وكيف طبق أول مبادئ الديمقراطية؟.

حين قرر بوش أن يزحف بجنوده إلى أفغانستان والعراق كرد فعل لأحداث الحادي عشر من سبتمبر، رأى الجميع أنه رد فعل أهوج غير مدروس، وحين أقول الجميع فأنا أتحدث عن مستويين من المحكومين، المواطنين الأمريكيين من جهة، ودول العالم كلها من جهة أخرى، فبوش حين تولى مقاليد الحكم لم يعد رئيسًا للولايات المتحدة فحسب، بل أصبح -كما جاء في خبر فوزه بالانتخابات بإحدى القنوات الإخبارية- رئيسًا للكون، مسئولاً عن كل ما يصيب أفراده من سوء نتيجة قراراته.

لم تتوقف المظاهرات المعارضة للحرب على العراق في أي من مدن العالم، من واشنطن وحتى أطراف الكرة الأرضية، لم تشهد الخريطة العالمية انتشارًا وتوحدًا لفكرة كما كان الأمر مع معارضة الحرب على العراق، لقد وقف المتظاهرون الأمريكيون حول البيت الأبيض وحول مبنى الكونجرس، وطافت جموعهم بأنحاء الولايات المتحدة رافعين اللافتات المعارضة للحرب، وعلى الصعيد الآخر حاصر مواطنو العالم بوش بالمظاهرات المعارضة في كل مكان ذهب إليه، في قارات الدنيا جميعها، حتى بات من المستحيل أن يثبت بوش أنها حرب كونية من أجل مواطني العالم جميعًا.

وكأي حاكم ديكتاتوري مستبد، لم يسمع بوش لكل هذه الأصوات، وقرر -ضاربًا بأول وأهم مبادئ الديمقراطية عرض الحائط- أن يذهب بجنوده للعراق لتنفيذ خطته التي تثبت فشلها يومًا بعد يوم، وسقطت جيوشه في مستنقع فيتنامي جديد يحتار هو ومستشاروه في إيجاد السبيل للخروج منه، ورفع شعارًا مرعبًا "من ليس معنا فهو ضدنا" ليصادر به حق التعبير عن الرأي الآخر لأي فرد أو مؤسسة أو حكومة في العالم كله.

لقد اكتشف الأمريكيون الخدعة أخيرًا، لقد سقط القناع وزال الوهم، وشعروا بمرارة كيف تكبح إرادتهم العامة أمام غرور واستبداد شخص متهور، لقد رصد الكاتب الأمريكي الشهير مايكل مور في كتابه "هل سيثقون بأمريكا مرة أخرى.. خطابات من ساحة المعركة" مشاعر

المواطن الأمريكي العادي بدقة، لقد أفرد مساحة كبيرة لخطابات أرسلها له جنود أمريكيون في العراق وأفغانستان، يحاول الجنود من خلال هذه الخطابات أن يخبروا ذويهم كيف كانت الخدعة، ويطالبون مايكل مور بضرورة السعي لإيصال صوتهم لكل مواطن في أمريكا.

يقول أحد الجنود في خطابه " لقد خدعنا بوش.. جنودنا لم تحرر العراق، بل زادته فقرًا على فقره" وتقول مجندة أخرى في خطاب بعنوان "أكره قائدي الأعلى" -وتقصد بوش-: "إنني أخدم في الجيش منذ ثلاث سنوات تحت قيادة رجل لا يعبأ بي لو قتلت، رجل كانت الانتخابات التي جاءت به مجرد أكذوبة كبيرة" وبعث آخر برسالة بعنوان "عبيد الحرب" يقول إن رجال السياسة صاروا أسيادًا يأمرونهم بتنفيذ أوامرهم كالعبيد!!

وهم الانتخابات الحرة

إن اجتماع المواطنين الأمريكيين على عدم صلاحية بوش وإدارته لحكم أمريكا، جعلنا نعيد النظر في مدى شرعية هذه الحكومة، وكيفية فوز جورج بوش في الانتخابات الرئاسية الأمريكية، وهي -كما يقولون- أكثر الانتخابات نزاهة في العالم، وأكثرها نضجًا، لنجد قناعًا آخر قد سقط، ووهمًا آخر قد زال، فتحليل نظام الانتخابات الرئاسية الأمريكية يظهر أنه نظام ديمقراطي من حيث الشكل يحقق حرية الترشيح لأي مواطن أمريكي للرئاسة ويضمن ممارسة حرة لتعبير الناخب عن رأيه، ولكن نجد أنه عند التطبيق تزول كل هذه المظاهر ونجد أن أي مواطن لو ود ترشيح نفسه

للانتخابات لابد وأن ينضم لأحد الحزبين الرئيسيين بالولايات المتحدة، الجمهوري أو الديمقراطي، والتي -كما يشير السيد ياسين في كتابه- لا توجد فواصل أيدلوجية بينهما تقريبًا.

كذلك فإن الممارسة الديمقراطية الحرة للناخبين صارت وهمًا آخر، فتمويل الحملات الانتخابية لأي مرشح، سواء كان مرشحًا للرئاسة أو مرشحًا للكونجرس، هو المتحكم الرئيسي في رسم خريطة التمثيل النيابي لهذا الشعب، وهنا تظهر أيدٍ خفية تتمثل في جماعات الضغط التي تحدد مسبقًا من سيفوز ومن سيرحل، ولعل من أبرزها الصهيونية المسيحية التي تعد انحرافًا سياسيًا تحت عباءة الدين، والتي تتحكم في قرارات الإدارة الأمريكية خاصة فيما يتعلق بشؤون الشرق الأوسط.

ولعلك تتعجب لو علمت أنه من أقوى جماعات الضغط في الولايات المتحدة الأمريكية اللوبي الخاص بحرية حمل السلاح لأي مواطن أمريكي بالغ، فرغم ما ثبت من خطورة هذا الأمر من الناحية الأمنية والاجتماعية، ورغم الجهود الكبيرة التي بذلها بعض أعضاء الكونجرس، أو الرئيس الأمريكي نفسه، من أجل الحد من ذلك الأمر، إلا أن هذا اللوبي مارس ضغوطه وحال دون إصدار أي تشريع يحد من حمل السلاح !!

وهم حرية التعبير واستقلال الإعلام

"فهرنهايت" مور نموذجًا

لقد أكد هاس في خطابه على أهمية الدور الحيوي الذي تلعبه

وسائل الإعلام كعنصر أساسي في المجتمع المدني، وعلى أنها تتمتع في أي دولة ديمقراطية بالحرية المطلقة وتبعد عن سيطرة الدولة مما يسمح بظهور آراء ووجهات نظر متعددة، وأن الممارسة الإعلامية الديمقراطية لا تقوم على إسكات الصوت المعارض، بل بعرض وجهة النظر الأخرى لتنشر جميعها في ساحة الأفكار.

ولا خلاف على كلام هاس، الذي كان يشير به لما تعانيه بعض وسائل الإعلام في بعض دول الشرق الأوسط من سيطرة الدولة، ولكن حين تطبق هذا المنهج على نموذج الميديا الأمريكية، خاصة في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر، لأدركت أن مصادرة الرأي الآخر، وسيطرة الدولة على الإعلام سمة أمريكية جلية، وأن حرية التعبير واستقلال الإعلام الذي تتشدق به أمريكا، وهم كبير عاشه الشعب الأمريكي وشعوب العالم لسنوات.

لعل الحملة الشرسة التي تعرض لها فيلم مايكل مور "فهرنهايت 11/9" وقرار شركة والت ديزني العالمية بمنع توزيع الفيلم أصدق دليل على خدعة حرية التعبير واستقلال الإعلام، ففي هذا الفيلم الوثائقي يعرض مور رد فعل البيت الأبيض إزاء اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر، والعلاقات الشخصية والمالية الوثيقة بين عائلتي بوش وبن لادن، وكذلك يحتوى الفيلم على مقابلات مع جنود أمريكيين يعارضون الحرب على العراق.

وتفاصيل القصة تمتلئ بالمفاجآت، فقد اشترت شركة ديزني شركة ميراماكس قبل إنتاج الفيلم، وكان بينهما عقد ينص على أنه من حق

شركة ديزني أن تمنع من عرض أفلام ميراماكس تحت ظروف معينة، سواء ظروف مالية أو أي أمر يهدد مصالحها، ورغم تأكيد المسؤولين بشركة ميراماكس أن هذه الأمور لا تنطبق على "فهرنهايت 11/9" إذًا لماذا تقف ديزني دون توزيع الفيلم؟!!.. إنها مفاجأة أخرى.

فالحقيقة وراء هذا الموقف هو أن شركة ديزني تخشى من خسائر مالية قد تلحق بها من فقدان الإعفاءات الضريبية التي تحصل عليها من ولاية فلوريدا –وهي الولاية التي يحكمها جيب بوش– شقيق الرئيس الأمريكي، لو أنها سمحت لميراماكس بتوزيع الفيلم، وهكذا لا يجد مايكل مور ما يقوله سوى أن يسأل هل ينبغي أن تعلن المصالح المالية الحرب على حق الجمهور في أن يعرف.. وأين يحدث ذلك؟ في مجتمع حر ومفتوح كأمريكا!!

لم تقتصر الحملة على "فهرنهايت 11/9" على قرار ديزني بحظر توزيع الفيلم، بل إن هناك قطاعًا كبيرًا من الإعلام الأمريكي الخاضع لسيطرة اليمين المتطرف وتأثير الشركات الكبرى، بدأ في شن حملة مسعورة على مور ذاته، خاصة بعد الخطاب الذي ألقاه عقب فوزه بجائزة الأوسكار الذي وصف فيه الرئيس جورج بوش على أنه رئيس مزيف تولى الحكم عبر نتائج انتخابية مزيفة، ويرى مور أن السر وراء هذه الحملة على الفيلم هو فضحه للسياسة الأمريكية وكشفه لحقيقة ما حدث من استغلال بوش لأحداث الحادي عشر من سبتمبر لتنفيذ أجندة تم الإعداد لها مسبقًا.

وهم الرأي العام الحر

لقد أثبتت تجربة مايكل مور بما لا يدع مجالاً للشك أن الرأي المعارض تسكته سيطرة الدولة ونفوذ جماعات الضغط، ولكن ماذا عن تشكيل هذا الرأي من البداية، لقد صدر خلال الفترة الماضية العديد من الكتب التي تتحدث عن وهم الرأي العام الحر، وكيف أن الرأي العام يمكن صناعته، وبدلاً من أن يصبح وسيلة تكبح سيطرة الدولة المطلقة، أصبح سلاحًا تستخدمه الإدارة لمساعدتها في تحقيق أهدافها.

لقد عرض الدكتور سعيد اللاوندي بجريدة الأهرام لعدد من هذه الكتب، لعل أبرزها كتاب "صناعة الرأي العام" للفيلسوف واللغوي الأمريكي ناعوم تشوميسكي وإدوارد هيرمان الأستاذ بجامعة بنسلفانيا، وكتاب "الرأي يمكن صناعته" لمؤلفيه سيرج هاليمي الصحفي بجريدة لوموند ديبليوتيك ودوميتيك فيدال المتخصص في قضايا الرأي العام.

كشفت الدراسات التي احتوت عليها هذه الكتب أن احتكار المعلومة من أجل السيطرة على الرأي العام صار هدفًا تسعى إليه المؤسسات الإعلامية، وأن التعتيم والتزييف ونشر الأوهام والأكاذيب أصبح مهارة تسعى وسائل الميديا لاكتسابها، وفي كتاب "صناعة الرأي العام" تتكشف لنا أسرار صناعة الرأي العام الأمريكي -وهو محور حديثنا الآن- ويسوق لنا تشوميسكي وقائع وأحداثًا بعينها تفضح السياسة الإعلامية الأمريكية وتكشف عن تورط شركات الدعاية والإعلان في الحروب التي تخطط لها السياسة الخارجية الأمريكية ومنها الحرب على العراق.

فيذكر الكتاب أن هناك شركات متخصصة في العلاقات العامة قامت بترويج الأكاذيب والأوهام على أنها حقيقة، حيث وقعت عقدًا مع الـ CIA يعطي لها حق توزيع الأخبار المغلوطة عن الحرب وتصوير أفلام تليفزيونية دعائية عن الحرب بشكل يخدم أهدافها، ويذكر الكتاب أن هذه الشركة نفسها كانت قد وقعت عقدًا قبل ذلك مع البنتاجون قبل الإطاحة بنظام طالبان في أفغانستان لتأسيس وكالة أنباء أفغانية تنشر الأخبار الكاذبة وتحتكر وحدها أنباء ما يحدث في أفغانستان لتشكل الرأي العام المناسب لتوجهات الإدارة الأمريكية!!

ومن المفاجآت التي كشفها كتاب "صناعة الرأي العام" ذلك المشهد الذي أذاعته وكالات الأنباء العالمية لإسقاط تمثال صدام حسين في قلب العاصمة العراقية بغداد، فالأمر كله لم يتعد كونه مسرحية من إعداد وإخراج إحدى شركات الإعلان، والتي قامت بتجميع أكثر من 100 شخص ليكونوا جاهزين للتصفيق والتهليل عند سقوط التمثال وكان منهم أعضاء في مجلس الحكم الانتقالي الذي جاء بعدها.

وهكذا ندرك بشكل قاطع وهم الرأي العام الحر الذي تشكله عقول أمريكية حرة، فقد أصبح السياسيون الأمريكيون يتلاعبون بعقول شعبهم، ويشكلون الرأي العام كما يروق لهم، ولعل الجنود الأمريكيين الذين صورت لهم الميديا الخادعة أن العراقيين سوف يستقبلونهم بالورود، وأنهم سيذهبون للعراق في نزهة عسكرية، أصدق دليل على ذلك.

وهم علو شأن المرأة والطفل

حرية المرأة وعلو شأنها في المجتمع هي سمة من سمات الدولة المتحضرة، وكذلك الاهتمام بالطفل ورعايته، فهذه الركائز الأساسية التي تضمن لأي حضارة الاستمرار، تذكرت ذلك وأنا أقرأ الرواية الأخيرة للكاتب والروائي علاء الأسواني "شيكاغو" والتي تدور أحداثها داخل الحدود الأمريكية، فقد تعاطفت مع إحدى شخصيات الرواية وهي مواطنة أمريكية لا تستطيع أن تجد عملاً حتى استسلمت لشركات الدعاية التي اعتبرتها مجرد سلعة.. فكما قلنا من قبل "أي شيء مقابل المال"، وعندها وجدت أنه من الضروري إعادة النظر في الحقيقة التي آمنا بها لسنوات.. إنه وهم علو شأن المرأة والطفل في أمريكا.

إن ما أصاب المجتمع الأمريكي من تدنٍ سواء على المستوى الأخلاقي أو الروحاني، وما تبعه ذلك من انهيار الكيان الاجتماعي السليم، والذي من مظاهره انقراض شكل الأسرة التقليدي والعزوف عن الزواج، قد أصاب المرأة والطفل في مقتل، وحتى لا نطيل الحديث في هذا الأمر سأتركك لبعض الأرقام التي ساقتها لنا الدراسات والأبحاث والتي تزدحم بها شبكة المعلومات الدولية لتكتشف بنفسك قدر معاناة المرأة الأمريكية ومصير الطفل الأمريكي البائس:

- 50 إلى 60% من العلاقات الزوجية في الولايات المتحدة تنتشر بها حوادث العنف الزوجي.
- 1 مليون امرأة أمريكية في السنة تعاني من كونها ضحية

للعنف الذي لا يصل إلى درجة الموت.

- 200 امرأة أمريكية تنقل شهريًا إلى المستشفى نتيجة إصابات كبيرة وتهشيم ضلوع أو كسر في العظام من قبل الأزواج.
- 1 مليون حالة طلاق سنويًا بين الأزواج الأمريكيين.
- 13% من المواليد في الولايات المتحدة أطفال غير شرعيين من أمهات مراهقات.
- 1.5 مليون جنين يقتل سنويًا بسبب عمليات الإجهاض خاصة تلك التي تقدم عليها المراهقات للتخلص من ورطة وتبعات الحمل.

لقد خدعتنا الميديا الأمريكية، وأخفت هوليود ذلك الجانب المظلم من المجتمع الأمريكي، فالمرأة الأمريكية التي نراها على الشاشة، والتي يحسدها نساء العالم أجمع، ما هي إلا وهم آخر من الأوهام الأمريكية، إن الصورة الحقيقية للمرأة الأمريكية هي امرأة "مسحوقة تحت وطأة العمل المنهك، وسوط الرجل الذي لا يرحم" على حد تعبير أحد الكتاب.

ولكن كما ذكرت من قبل، فإن الهزة التي سببتها أحداث الحادي عشر من سبتمبر قد أسقطت الأقنعة وأجبرت الجميع على كشف الستار عن الحقائق، أتذكر مقالاً لأحد الكتاب الكنديين على شبكة المعلومات الدولية يعرض فيها مقارنة بين صورتين لامرأتين إحداهما عربية والأخرى أمريكية، ويصف المقال كيف يزول الوهم، ليكتشف الأمريكيون أنهم لم يصونوا المرأة بل أهانوها، ويطالب بعدم سلب العرب وأهل

الشرق أهم ما يملكون، وهو القيم، التي استطاعت أن تحافظ على نسائهم وتصون شعبهم أكثر من الدولارات التي انشغلت الولايات المتحدة في جمعها فخسرت كل شيء.

وهم احترام خصوصية الأفراد والملكية الخاصة

حين اتخذت إدارة الرئيس بوش قرارها بالحرب اللامحدودة، أصدرت تشريعات تساعدها على حماية الأمن القومي الأمريكي، لتحدث مفارقة عجيبة، فمن أجل حماية المواطن الأمريكي انتهكت خصوصيته وحريته، فنجد مجموعة من التشريعات التي تكفل للحكومة الأمريكية القبض على أي شخص مشتبه فيه دون سبب واعتقاله، كما تحرمه من أدنى حقوقه القانونية التي كانت تكفلها له من قبل، وتجيز محاكمة المتهمين بالإرهاب أمام محاكم عسكرية في جلسات سرية دون حضور محامين.

لم يقتصر الأمر على ذلك بل تعداه إلى أنه تم إعطاء جهاز الشرطة والسلطات التنفيذية صلاحيات كبيرة ولامحدودة في التصنت على المكالمات الهاتفية، والبريد الإلكتروني، وتفتيش المنازل في أي وقت، لتضرب بذلك الحكومة الأمريكية أكبر مثل للديكتاتورية وانتهاك الخصوصية الملكية الخاصة حتى إنك تتخيل أنك تعيش عصر الديكتاتوريات القديمة وعصر البوليس السياسي في أسوأ العصور التي مرت علينا وأكثرها ظلمًا.

وبعد سقوط هذا القناع، وزوال الوهم من عقول المواطنين

الأمريكيين، بدأت الأصوات تتعالى وتطالب بالحرية على المستوى الأمريكي والمستوى الدولي، خاصة فيما يتعلق بمعتقلي جوانتنامو، وفضائح سجن أبو غريب في العراق، إلا أن الحكومة الأمريكية رفعت شعار "من ليس معنا فهو ضدنا"، وأصبح كل من يطالب بمنع تلك التشريعات يتهم بعدم الوطنية وعدم الاهتمام بالأمن القومي.

وأخيرًا..

رغم كل ما ذكرته من سقطات ديمقراطية للحكومة الأمريكية، فإن مجموعة الأوهام لم تنته ولن تنتهي، فكم الانتهاكات التي تقوم بها الولايات المتحدة على المستويين المحلي والدولي تتكرر كل يوم، فلا تخلو جريدة من خبر عن تحدي الإرادة العامة وانتهاك المواثيق الدولية وعدم احترام المؤسسات العالمية كالأمم المتحدة ومجلس الأمن، وكل ذلك يجعلنا نتساءل.. هل يعقل أن تكون دمقرطة العالم هو عنوان الحرب على العالم؟ هل تستطيع الولايات المتحدة أن تصدر الديمقراطية بينما لا تستطيع تحقيقها محليًا؟ أجد قولاً واحدًا يجيبني.. فاقد الشيء لا يعطيه

وأنا في الضلام . . من غير شعاع يهتكه

أقف مكاني بخوف ولا أتركه

ولما ييجي النور وأشوف الدروب

أحتار زيادة . . أيهم أسلكه؟

عجبي !!

صلاح جاهين

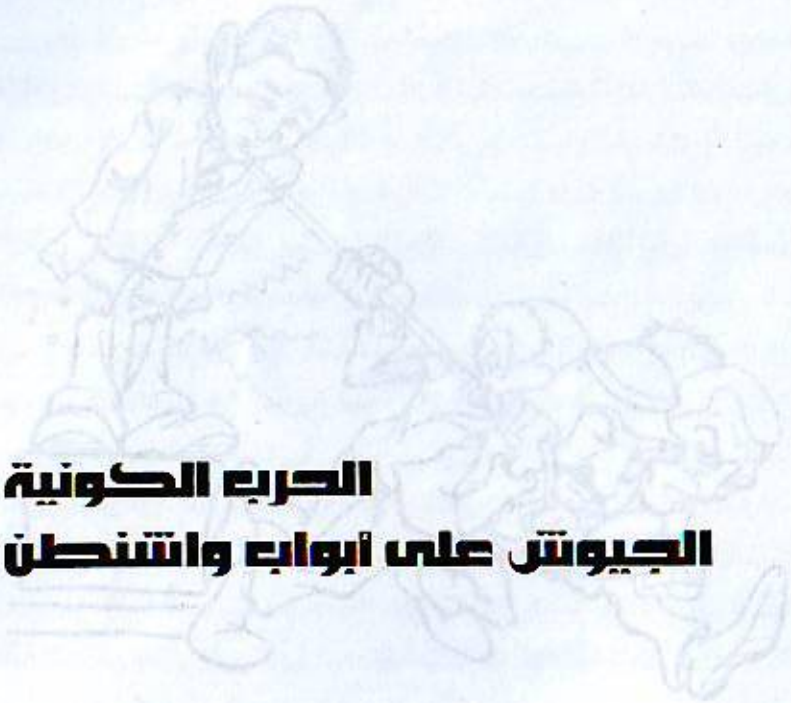

الحرب الكونية
الجيوش على أبواب واشنطن

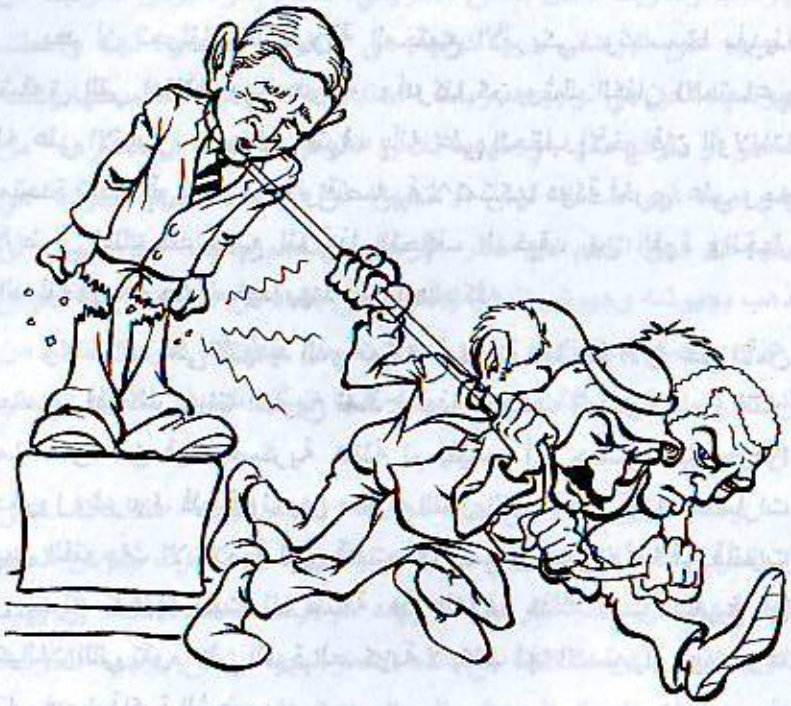

بعد أن تجولنا معا بأروقة المجتمع الأمريكي، وتحسسنا بأيدينا الشقوق التي امتلأت بها جدرانه، وأدركنا كم يوشك الكيان الاجتماعي كله على الانهيار، يجب أن نعترف بأنه على الجانب الآخر فإن الولايات المتحدة تمتلك قوة عسكرية واقتصادية لا تمتلكها دولة أخرى على وجه الأرض.. لذلك فقد صنع لنا هذا التحالف المخيف بين القوة والجهل والديكتاتورية وحشًا مخيفًا يهدد أمن العالم كله.

ولا خلاف على التهديد الذي تمثله الولايات المتحدة الآن على الأمن العالمي، فقد ضرب لنا التاريخ نماذج لهذا التحالف المدمر، ولعل التتار وما ملكوه من قوة عسكرية هائلة لم يقيموا أي حضارة، بل حرقوا ودمروا وشردوا، فلو قارنا بين معارك التتار التي دمرت فيها الحضارات وبين الفتوحات الإسلامية التي قامت على أساس ديني وأخلاقي فأثارت كل مدينة تدخلها لتثبت لنا صحة هذا الكلام، كذلك أثبت التاريخ أن الكيانات التي تقوم على القوة العسكرية لا يكتب لها الاستمرار، ويمحوها التاريخ من ذاكرة الشعوب.

الحرب الكونية

رغم كل التحذيرات التي أعلنتها مصر للعالم عن خطورة الإرهاب، وانه تهديد كوني لا يمس أمن دولة بعينها، وأنه خطر لا تحده حدود ولا يحتويه مكان، فإن الولايات المتحدة لم تتحرك إلا بعد أن طالتها أيدي الإرهاب وضربت داخل العمق الأمريكي، لتعلن إدارة بوش المرتبكة أن الحرب على الإرهاب حربًا كونية هي الأخرى لا حدود لها، وأعطت جيوشها الحق في توجيه ضربات "استباقية" لأي دولة تشم منها رائحة الخطر أو تتوقع منها أي تهديد للأمن القومي، وأكدت أن شعارها "من ليس معنا فهو ضدنا" ليس إلا تعبيرًا عن أن هذه الحرب الكونية هي رغبة كل دول العالم لأن خطر الإرهاب يهددهم جميعًا، وقرر بوش أن يذهب بجيوشه وجيوش الدول الأخرى إلى بغداد من أجل دمقرطة العراق وعزل حاكمه الديكتاتور كخطوة أولى ضمن خطوات أخرى لقائمة من الدول التي ترى الإدارة الأمريكية أنها تمثل تهديدًا للأمن القومي والعالمي.

ونحن نتفق تمامًا مع جزء من هذه الاستراتيجية، فلا خلاف على أن الحرب على الإرهاب هي حرب كونية يجب أن تشترك جيوش العالم كلها فيها؛ لأن خطر الإرهاب لا يهدد الولايات المتحدة فقط، بل يهدد الكون كله، ولكن اختلافنا مع هذه الاستراتيجية يتعلق بوجهة الحرب، فهل يجب أن تتحرك الجيوش إلى العراق؟ هل هذه هي وجهة الحرب السليمة؟.. فجميعنا أدرك وأصبح على يقين الآن بعد سقوط الجيش الأمريكي في مستنقع العراق، وعدم تأثير حربه في حماية الأمن القومي

أو العالمي، بل زادت من كراهية الشعوب للولايات المتحدة، وبالتالي زادت من احتمالات وقوع هجمات جديدة تعبيرًا عن هذه الكراهية، لهذا فإن الوجهة الصحيحة هي التوجه إلى أصل المشكلة وإزالة سبب وجود الإرهاب، فعلى الجيوش العالمية أن تتجه إلى واشنطن.

وحين أقول الجيوش العالمية، فلا أقصد المعنى العسكري التقليدي، فلو اتفقنا بعد كل ما كشفناه في الفصول السابقة أن الولايات المتحدة تعاني من الفقر والمرض وانعدام الديمقراطية، فإن هذه الجيوش يجب أن يكون جنودها إما طبيبًا وإما معلمًا، فما يحتاجه الشعب الأمريكي هو إصلاح مجتمعه من الداخل وتضميد جروحه الاجتماعية وإنقاذ الكيان الاجتماعي من الانهيار، لنعيد تفعيل مصطلح تكامل الحضارات، فما تفتقر إليه الولايات المتحدة من روحانيات وقيم، تمتلكه الحضارات الشرقية الضاربة في جذور التاريخ، كما أن علينا أن نساعد الشعب الأمريكي المصدوم في قيم الحرية في التخلص من الطاغية الذي يحكم دولته منفردًا غير عابئ بأرواح مواطنيه، ومنساقًا وراء أهوائه المدمرة.

ولعل الإدارة الأمريكية، وكذلك الكتاب السياسيون الأمريكيون الذين يرون في الولايات المتحدة النموذج المتعولم الذي يجب أن تستنسخ منه باقي الدول، أن يدركوا أن أمريكا أصبحت بين خيارين، إما أن تتنازل عن زعامة العالم وقيادة قطار العولمة، وإما أن تعدل من مجتمعها وتعيد النظر في سياستها الداخلية والخارجية وتسمح بالتدخل السليم والتوجيه من قبل الحضارات الشرقية التي مازالت تحتفظ بالقيم والروحانيات التي

تفتقر إليها الولايات المتحدة.

كذلك فإن على المجتمع الدولي، ودول الشرق على الأخص، أن تدرك أن الولايات المتحدة لا يقتصر تهديدها على قوتها العسكرية الفائقة فقط، بل إن انهيار القيم وغياب الأخلاق أصبح يهدد مجتمعنا الشرقي من الداخل، ويضرب حضارتنا في مقتل، فاعتلاء الولايات قمة العالم، والخلط المتعمد بين العولمة والأمركة، إضافة لما تمتلكه الولايات المتحدة من آلة إعلامية ضخمة تصل إلى شبابنا في ثوان في ظل عصر ثورة المعلومات، والصورة الرائعة التي جسدتها هوليود للمواطن الأمريكي، جعل شبابنا ينبهر بالنموذج الأمريكي ويحاول تقليده، ولا يدرك الخطر الذي يمثله ذلك الانسياق والتقليد غير العقلاني، فماذا لو فقد الشرق أخلاق وقيم شبابه وهو الشيء الوحيد الذي يمتلكه الآن؟!

الاستعداد للحرب

أنتم المأساة

يجب أن نعترف أن شعوبنا الآن قد أصابتها الآلة الإعلامية الأمريكية، وأن شبابنا أيضًا يحتاج لإزالة ما سببته هوليود من أخطاء ومفاهيم مغلوطة وما مارسته من غسيل مخ لعقولهم، حتى يكون مستعدًا ومؤهلاً لقيادة جيوش الشرق، وليستحق التدخل وإصلاح المجتمع الأمريكي، فالمنطق يحكم بأنه كما حللنا خطاب الآخر أن نقوم بنقد ذاتي لحضارتنا قبل الدخول في اتصال مع الآخر من أي نوع، وأدركت أن حالنا الآن يحتاج إلى تعديل، وأن على شبابنا أن يعيد ترتيب أوراقه ويعيد تعريف مصطلحاته.

عند تلك النقطة تذكرت كلمات شاعرنا الكبير عبد الرحمن الأبنودي "أبرد من التلاجات يا دمنا العربي . . مأساتي مش من عدوي . . أنتم المأساة".. وأي مأساة!! فقد تابعت عيون شبابنا مشاهد سقوط آخر ما تبقى من كرامة الشخصية العربية في العراق، وقرووا رغمًا عنهم نص الرسالة الأمريكية الصريحة، فهم من يفهم ومن لم يفهم، ليسقط قناع آخر، ولكن كيف سقط؟ عن أي وجه كشف؟

لم يكشف القناع عن الوجه القبيح لأمريكا فقط، فقبحه معروف لكل مواطن عربي، ولكن ما يهمنا هو الوجه العربي الذي كشفه القناع، فهذه هي الصدمة الحقيقية للمواطن العربي، فقد امتلأت القنوات الفضائية العربية بأصوات المفكرين وأصحاب الرأي تنتقد النظم السياسية العربية وتتهمها بالضعف وعدم القدرة على اتخاذ موقف حاسم تجاه ما يحدث، ويتهم البعض الآخر القادة العرب على عدم القدرة على عصيان الأوامر الأمريكية.. وهنا تكمن السخرية.. فقصة الضعف العربي وغياب الهوية قصة يعيشها المواطن العربي نفسه، فما يوجهه المفكرون العرب من انتقاد ضعف النظم السياسية العربية ما هو إلا إسقاط من النموذج الأصغر.

ضعف الوطن العربي يتلخص في ضعف البيت العربي من الداخل، البيت الذي لا تختلف أزمته كثيرًا عن أزمة الوطن، فقد استطاعت الميديا العالمية أن تصيب الأسرة العربية من الداخل وحاولت النيل من قيمه ومبادئه التي أملتها عليه ثقافتنا الأصيلة وتغير المثل والقدوة لينساقوا وراء الحلم الأمريكي المزيف ولا يستطيعون الخروج من العباءة

الأمريكية.. وأتعجب بعد ذلك كيف ننتقد النظم العربية ونطالبها بما لم يستطع عليه المواطن العربي نفسه؟!

باختصار.. فإنه إذا أردنا أن نعيد للشخصية العربية كرامتها التي سلبت أمام عيوننا، علينا أن نعيد ترتيب أوراق أسرنا العربية من الداخل، ونعيد معاييرنا إلى ترتيبها الصحيح، ونعيد تعريف مصطلحاتنا، ونعطي شبابنا الأمل والثقة في أن تمسكهم بهويتهم هو الملاذ الأخير في هذه الحرب الشرسة، ونعيد تقديم المثل والقدوة إلى ثقافتنا الأصيلة.

إعادة تعريف مصطلحاتنا

كان رد فعل بعض الشاب العربي تجاه ما يحدث في العراق وما ترتكبه الولايات المتحدة من انتهاكات للقانون والأعراف الدولية أن طالب بالمقاومة عن طريق أبسط ما يملك، وبدأت الدعوة لمقاطعة المنتجات الأمريكية، ولاذ البعض الآخر بذكريات انتصارات العرب وما تحمله من ذكريات تعينه على تحمل ما تراه عيناه من انهيار عربي، وهكذا ضل كل منهم الطريق.. فلا هكذا تكون المقاطعة ولا كذلك يكون الاحتفال بذكرى الانتصار.

فالمقاطعة يجب أن تكون لما بداخلنا من قلة همة، وبدلاً من عدم شراء المنتج الأمريكي المتفوق في صناعته، أن تتحرك أيادينا لصناعة منتج عربي منافس، وليتحول المواطن العربي من مجرد مستهلك لسلع لا يمكنه الاستغناء عنها، إلى مصنع تصدر منتجاته لأرجاء المعمورة، لتعلو كلمته، وعلى رجال الصناعة العرب أن يدركوا أن اهتمامهم بجودة منتجاتهم تعطى المواطن العربي الفرصة للاستغناء عن أي منتج آخر

وبالتالي لا يقل دورهم عن أي جندي في ساحة المعركة.

أما الاحتفال بذكرى الانتصار، فقد فقد معناه تماما وتبدل ليصبح مجرد مسكن لحالة الألم التي يعيشها المواطن العربي، أتذكر أثناء عملي بإحدى المجلات التي تهتم بشؤون الشباب أن كلفت بكتابة مقال عن العبور في عدد أكتوبر، وبعد انتهاء الاجتماع حاولت التعرف على كيفية رؤية الشباب في عمري من جيل ما بعد الحرب ولم يشهدوها لهذا الانتصار، فلم أجد سوى إحساس جميل لدى البعض بالأغاني والأفلام الوطنية التي تذيعها وسائل الإعلام في هذا الوقت من كل عام، وعدم اهتمام لدى البعض الآخر بسبب تكرار نفس مراسم الاحتفال كل عام،

وبالنسبة لي فإن إحساسي بالفخر الذي تحركه بداخلي تلك الأغاني يمتزج دومًا بإحساس الغيرة، نعم الغيرة من هذا الجيل العظيم الذي استطاع أن يكسر حاجز المستحيل ويعبر خط بارليف ويصون كرامة أمته، وأجدني أسأل نفسي هل الفجوة بيننا وبين هذا الجيل كبيرة؟ هل لا يمكننا أن نفعل ما فعله إخواننا في السابق؟

يرى بعض المفكرين أن شعبنا بما يملكه من تراث ثقافي وسياسي يستطيع أن يعيد تحقيق هذا الانتصار مرة أخرى، ولكنه يفتقد للدافع الذي يحركه، فخط بارليف المنيع والاحتلال الإسرائيلي لسيناء كانا دافعين لتحريك الهمة، ولكني أرى أن ما يحدث الآن من انهيار لكرامة الشخصية العربية يشكل حاجزًا كبيرًا داخل النفس العربية، ويشكل دافعًا لتحريك الهمم وظهور أبطال جدد.

لماذا لا يكون الاحتفال بذكرى العبور القيام بعبور جديد، عبور على

المستوى الشخصي، أن يحدد كل منا الحاجز النفسي بداخله، ويحدد السادس من أكتوبر ميعادًا لعبور هذا الحاجز، لو نجحنا في استغلال ذكرى الانتصار بهذا الشكل لتغيرت الصورة تمامًا ولوجدنا كل ذكرى لانتصار تحمل لنا انتصارًا جديدًا.

لو نجحنا في تضميد تلك الجروح، وترميم تلك الشقوق، وإعادة قيمنا وتراثنا لمكانته داخل نفوس شبابنا، لكان باستطاعتنا أن نجد المعلم والطبيب، ولكوننا جيشًا يحمل للشعب الأمريكي كل ما يفتقر إليه، ويحقق للعالم كله ما يسعى إليه من تعديل للنموذج الأمريكي الفاسد.

هكذا نجد أن على الولايات المتحدة الأمريكية أن تقبل هذا التعديل، وتعلن عنه للمجتمع الدولي بعد أن صار مطلبًا كونيًا، وإلا سيكون عليها أن تتخلى عن موقع القائد، وأن يكف كتابها عن الدعوات المزيفة لدمقرطة الدول الشرق أوسطية.

وأخيرًا..

أردت بهذه السطور أن يرى شبابنا الخريطة السياسية العالمية بشكل صحيح، وأن تنكشف له الصورة المزيفة التي خلفها الإعلام الأمريكي، فما أعظمها من نعمة أن نرى الحق حقًا والباطل باطلاً، وأن نفرق بين الخير والشر، وما أقساه من ابتلاء أن يلتبس لدينا الحق بالباطل.

الفهرست

تمهيد	6
مقدمة	12
الجهل..	
العالم تحت قيادة أمة جاهلة	20
الفقر والمرض..	
العالم تحت قيادة أمة تحتضر	44
وهم الديمقراطية الأمريكية	
العالم تحت قيادة طاغية	64
الحرب الكونية	
الجيوش على أبواب واشنطن	84